72336 — 73864

REGD No LW /NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

SEPTEMBER — 1991

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج

دروس وعبر يجب أن ينتفع بها

وفجوات وثغرات يجب أن تسدَّ

ملتزم النشر و التوزيع

دار عرفات للترجمة ، والنشر والتوزيع

دارة الشيخ علم الله، رائى بريلى (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة و النشر ندوة العلماء

رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

العدد الثامن — المجلد ٢٦

ربيع الثانى ١٤١٢هـ — أكتوبر و نوفمبر ١٩٩١م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرة

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص ب ٩٣ ، لكهنؤ (الهند)

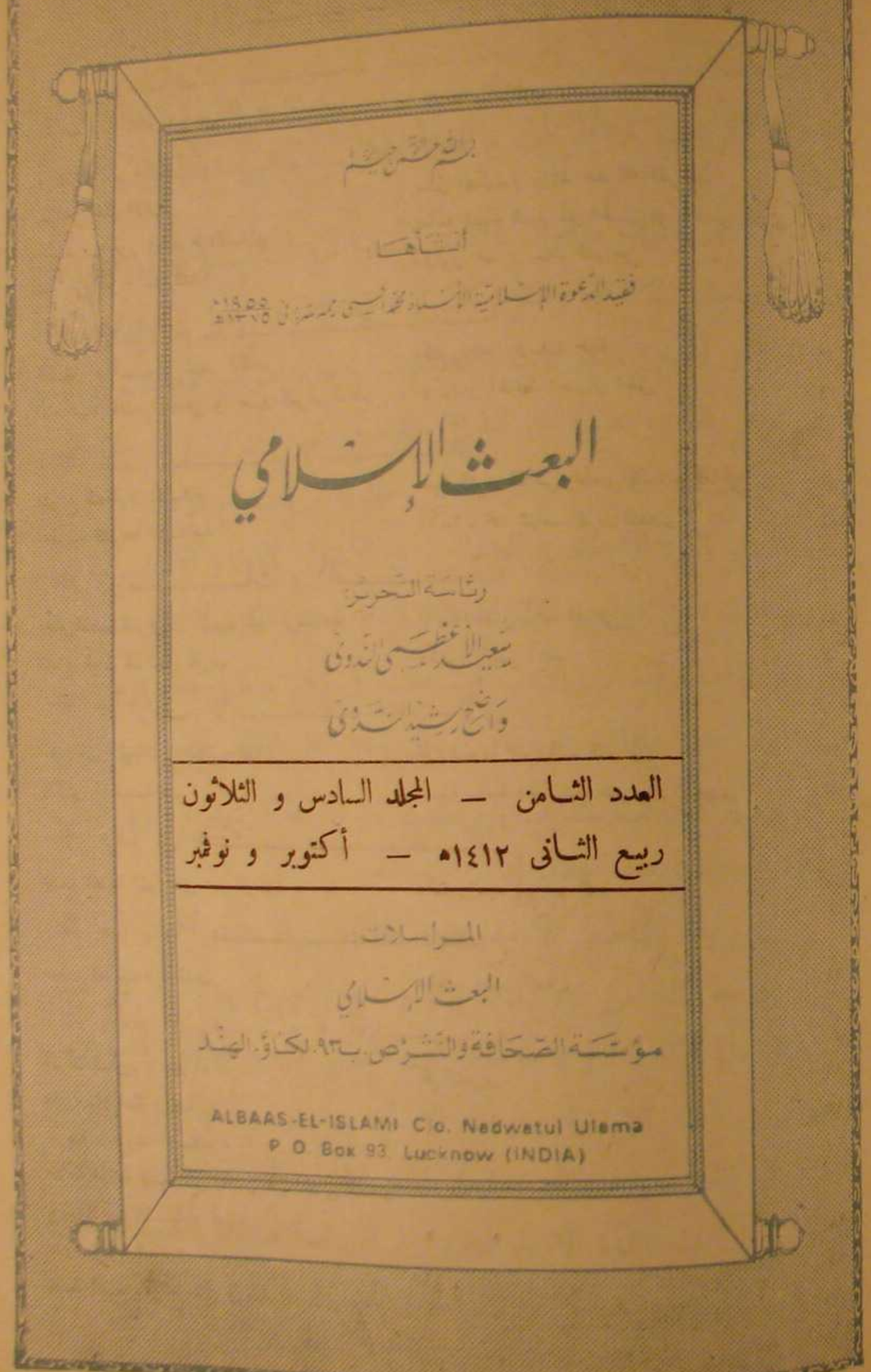

إلى الاخوة القراء

بمشيئة الله تعالى و توفيقه دخلت المجلة فى عامها **السادس و الثلاثين** ، و لا يسعنا بحياء هذا التوفيق الكريم إلا أن نحمد الله سبحانه و تعالى و نشكره بصفة دائمة ، على ما أكرم به إيانا من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى ، و نرجو أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود فى هذه الجبهة الدقيقة ، و خاصة فى الظروف الحالية الحرجة التى تتعرض لها الأمة الاسلامية، وهى أخطر و أدق مرحلة من تاريخها الحاضر ، و إن أدنى خطأ فيها يوديها إلى نتائج مريرة و وخيمة جداً ، لا يعلم مداها إلا الله ، فلندع الله أن يثبتنا على الجادة ، و يأخذ بأيدينا لأداء أمانة الكلمة و القيام بها فى هذه المرحلة الدقيقة التى تزل فيها الأقدام و تتثبط فيها الهمم « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : ستون روبية

ثمن النسخة ست روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

١٨/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٥/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

★ فى هـذا العـدد ★

★ الافتتاحيـــــة

الأدب و الايمان نعمة من الله على الانسان — سعيد الأعظمى

★ التوجيـــــه الاسلامى

مراحل خلق الانسان — معالى الدكتور راشد عبد الله الفرحان ١٠

المد و الجزر فى تاريخ الاسلام — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ١٥

ما أحلى الفرج بعد الشدة — دكتور محمد بن سعد الشويعر ٢٢

★ الدعوة الاسلاميـــــة

التكفير و أسبابه فى العصر الحاضر — دكتور عمر يوسف حمزة ٢٩

الاستشهاد بالشعر الجاهلى فى تفسير القرآن العظيم — الدكتور الحافظ احسان الحق ٣٩

★ الفقـــــه الاســـــلامى

تشريع النفقة فى الاسلام — فضيلة الشيخ القاضى مجاهد الاسلام القاسمى ٤٧

معقولية الشريعة الاسلامية — الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى ٥٥

★ دراســـات و أبحـــاث

نظام القضاء الشرعى فى الدول غير الاسلامية — الأستاذ عتيق أحمد القاسمى ٦١

التعليم العالى للنساء فى الغرب — دكتور أنيس أحمد ٦٧

★ فى الأدب الاســـــلامى

أحمد حسن الزيات : الكاتب الفنان — البروفيسور محمد راشد الندوى ٧٥

باكثير فى ملحمة عمر — السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى ٨٢

★ قراءة فى كتـــــاب

مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول ... — دكتور سيد إبراهيم الدد ٨٧

★ صور و أوضـــــاع

ضعف الطالب و المطالوب — واضح رشيد الندوى ٩١

★ أخبار اجتماعيـــة و ثقافيـــة

القرآن الكريم و علم النبات — قلم التحرير ٩٦

عدد ممتاز لمجلة « الصفا » — » » ٩٧

جريدة « صوت الاسلام » — » » ٩٧

سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

يزور الربوع المقدسة و أوربا — » » ٩٨

دورة تربوية للمعلمين — » » ٩٨

فضيلة الشيخ معراج الحق فى ذمة الله تعالى — » » ١٠٠

الافتتاحيـــــة :

الأدب والايمان ، نعمة من الله على الانسان

الأدب أصناف و ألوان ، له فنون ساحرة و أساليب بارعة فى التعبير عن الحياة و حاجات الانسان وشئون الكون ، وقد وضعه الناس فى أهداف سامية ، من البناء و الهدم ، بناء الانسان الصالح ، و هدم العوامل الفاسدة ، و أسيئ استعماله فى فترات عديدة من التاريخ ، يوم لم يكن للدين وازع ، و لا للضمير رادع ، و لم تكن للخير و الشر مقاييس معلومة ، فاستخدم الأدب فى سلبيات خالصة ، فى إثارة الأحقاد و الضغائن ، فى الاعتزاز بالآباء و الأنساب و فى بناء صروح المجد على أنقاض الكرامة الانسانية ، و إن الأدب الجاهلى خير شاهد على هذا الواقع ، فقد كان الأدب قوة عظيمة فى رفع قوم وخفض قوم آخرين ، و فى إبراز صور المفاخر القبلية و إسدال الستار على المثالب النفسية و الخلقية ، و كان وسيلة للتلاعب بالشرف ، والفضيلة ، و ذريعة للانتقام و تبرير العنف ، و إثارة العواطف ضد أعضاء الأسر الانسانية .

إن سليقة الجاهليين الأدبية رفعت مكانتهم فى الأدب و البيان ، و بلغت بهم إلى درجة عالية من قوة البلاغة والتعبير ، و لكنهم لم يهتدوا الطريق الطبيعى لاستعمال هذا الأدب ، و لا أوحت إليهم طبيعتهم البدوية الغليظة وظيفة الأدب و دوره فى الحياة الانسانية و فى بناء الانسان و الكون ، فاستخدموه لأغراض تافهة و فى تظاهرات خاطئة تتجلى فى الشعر الجاهلى بغاية من الوضوح ، و مما هو معلوم أن هذه القوة الأدبية العظيمة لم تكن نعمة صنعوها بأنفسهم أو أتت إليهم عفواً من غير سبب ، غير أن العقلية الجاهلية ما كانت على المستوى الذى

تدرك فيه مثل هذه الحقائق، ولكن خالق هذه النعمة العظيمة للأدب و البلاغة و مانحها المطلق إياهم، أراد أن لا تتعطل أو تصرف فى غير وجهها فقرر أن تنضم هذه النعمة البلاغية والقوة البيانية إلى نعمة الاسلام العقدية وقوته الايمانية.

و من ثم تم اقتران نعمة الأدب بنعمة الايمان، و أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربى مبين ليكون للعالمين آية تجمع بين الأدب و الايمان، و تمثل دور اللسان الذى يعبر عما فى القلب من الايمان و العقيدة و الحب و الولاء، و ما فى النفس من أفكار و علم و ما لديها من أهواء و شهوات، و كلما اقترن الايجاب بالسلب أتى بما يدهش العقول، و يحرك النفوس ويثير أوتار القلوب، ومع نزول القرآن الكريم باللغة العربية وعلى أرقى مستواها وبتمثيله ذلك الأدب الرفيع والبيان البليغ، تعرف المجتمع العربى الجاهلى الذى كان يعيش غروراً أدبياً وعصبية لغوية وبيانية، إلى أدب القرآن الكريم الذى فاق مستواه الأدبى اللغوى بدرجات و بلغ بأدبه و أسلوبه إلى القمة العالية التى كانت وراء إدراكه وشعوره و غروره و عصبيته، فما لبث هؤلاء الجاهليون أن رأو أسلوباً أدبياً بعيداً عن كل خليـة ضعف، و اطلعوا على أدب ساحر يمس أوتار القلوب، و يدعو الناس إلى الفضيلة وإلى السمو الخلقى والروحى، ويحذرهم من الرذائل والسفالات والمنكرات، وقرأوا كتاب الله فما قرأوا إلا بياناً عربياً عذباً واضحاً، ودعوة صريحة إلى التمسك بمكارم الأخلاق، و فضائل الأعمال، قرأوا كتاب الله فما وجدوا فيه إلا ما لم يكن منهم على بال، و ذلك هو تكريم الانسان، و رفع قيمته و بيان نفسيته وخباياها « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ».

أدهشهم هذا الأسلوب الأدبى الفريد وملأ نفوسهم بالهيبة والخشية، وخاصة

فى موضوع الانسان الذى وجه إليه القرآن خطابه، و نوعه بحيث يأخذ بمجامع القلوب وينزل إلى أعماق النفوس، و يهز المشاعر والأحاسيس، و يحرك مكامن الغرور و مخابىء الشرور و الأهواء، و يكشف حاله فى ضوء البرهان و يصوره بأبلغ و أصدق تصوير، لقد كان خطابه للانسان فى غاية من الصراحة و التأثير و الواقعية، ذلك لكى يطلع على حقيقته و يعثر على خباياه، و يدرك قيمته، و يعرف ربه، و يفكر فى آياته، ويتدبر فى حكمه و رحماته، و يعلم علم اليقين بأنه أضعف شىء فى الوجود من غير استناد إلى قوة الايمان، وأقوى من كل شىء فى الكون ما كان يتصل بالله و يثق فيه و يعيش معه، و ما كانت حياة تتصل بكهرباء الايمان و طاقة العقيدة.

لفت أنظارهم إلى ما كان عليه الانسان، و كيف تم خلقه، و كيف هداه السبيل، فإما إلى الشكر، أو إلى الكفر، و ماذا أعده الله تعالى للكافر من عذاب، و ما هيأه للمؤمن من جنات ونعيم، قرأوا كل ذلك بأسلوب ليس من وسع أى أديب مهما كان كبيراً وعلى مكانة عالية من البيان والبلاغة، فلم يكن منهم إلا أن يخضعوا لهذا الأدب الرفيع، والبيان البليغ، وهذا فى سورة الانسان:

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً، إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً، إنا اعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيراً، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً، يوفون بالنذر و يخافون يوماً كان شره مستطيراً، و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً و أسيراً، إنما نطعمكم لوجـه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً، إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً، فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهم نضرة

وسروراً ، وجزاهم بما صبروا جنة و حريراً ، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ، و دانية عليهم ظلالها و ذللت قطوفها تذليلا ، و يطاف عليهم بآنية من فضة و أكواب كانت قواريراً ، قوارير من فضة قدورها تقديراً ، و يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا ، و يطوف عليهم ولدان مخلدون إذ رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثوراً ، و إذا رأيت ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً ، عاليهم ثياب سندس خضر و استبرق و حلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهوراً ، إن هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكوراً ».

و مثل ذلك خوطب الانسان فى سورة الانفطار و أسلوبه يختلف عن الأسلوب الأول الذى يتميز بالرقة و التأثير و إثارة عواطف الشكر و التقدير ، ولكن هذا النمط التوجيهى هنا فيه شىء كثير من الفخامة ، و الانذار ، و توجيه السؤال إلى الانسان الذى خلقه فسواه فعـدله ، ما الذى غره بذلك الرب الكريم ، فيه إنذار إلى من يكذب بيوم الدين ، و موازنة بين جزاء الأبرار والفجار ، ولا شك فان ذلك دعاهم إلى التفكير فى الموضوع الذى أثاره القرآن و وجههم إلى العودة إلى الايمان و الاعتقاد بالآخرة .

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين ، و إن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون ، إن الأبرار لفى نعيم ، و إن الفجار لفى جحيم ، يصلونها يوم الدين ، و ما هم عنها بغائبين ، و ما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدراك ما يوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً و الأمر يومئذ لله » .

أما الآيات التى بدئ بها الوحى ، فهى تشتمل على معانى القراءة والكتابة و العلم ، و تعيين مكانة الانسان العالية بين جميع الخلق ، و هى تشرح له مبدأه

ومصيره وتفسر نفسيته و عقليته من الهداية و الغواية ومن الطغيان و الخضوع ، و كل ذلك فى أدب عظيم و بيان بليغ ، و دعوة مثيرة و توجيه ربانى كريم ، انظروا إلى مدى تأثير هذا الأسلوب الدعوى التربوى الرائع فى نفس القارىء :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، كلا إن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، إن إلى ربك الرجعى ، أرأيت الذى ينهى ، عبداً إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ، أرأيت إن كذب و تولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه ، واسجد واقترب » .

و فى هذه السورة ذكر الناصية ، ثم تنكيرها ، و وصفها بصفتين نكرتين (ناصية كاذبة خاطئة) و لقد ذهب المفسرون فى تفسير ذلك إلى أن المراد بها : صاحب هذه الناصية كاذب فاجر ، كثير الذنوب والاجرام ، وقال بعضهم : وصفها بالكذب و الخطيئة مجاز ، و الخاطىء الذى يتعمد الخطأ و لكن المخطىء الذى يفعل الخطأ بدون قصد .

و لكن العلم الحديث كشف عن هذا السر و لم تعـد هناك حاجة إلى التأويل ، و ذلك أن فى ناصية الانسان قوة مدركة ذات حس ، وهى التى تبعث الانسان على ارتكاب الكذب و الخطأ بالتعمد ، فلما كانت الناصية هى المسئولة عن تعمد صاحبها بالكذب و الخطيئة ، وصفها بالكاذبة الخاطئة .

و فى هذا من قوة الأدب وصدق الأسلوب و بيان الواقع ما يجعل الأديب العربى الجاهلى يقدم له ضريبة الاعجاب و الاعتراف بغاية من الرحابة و يحدث فى نفسه من التأثير و التقدير ما لا يعلم مداه إلا الله ، لقد كان هذا الأسلوب الدعوى المتوازن العميق مما اختاره الله تعالى فى كتابه العظيم لتوجيه

الانسان إلى واقعه ، و مكانته و قيمته ، ثم التفكير فيما يكرمه بالسعادة و النجاح و العزة و التوفيق ، و من الطبيعى أن يكون هذا الأدب الدعوى فى التوجيه الانسانى ذا قيمة وأهمية كبيرتين لدى الانسان الأديب ، سواء كان العربى الجاهلى أو العربى المسلم أو العجمى المسلم المعاصر .

إن الانسان هو المخاطب فى هذا الكون ، فهو أحق بالتوجيه و التربية و الدعوة و الاصلاح من كل شىء ، و هو أجدر بالخطاب من غيره ، و من هنالك كان كتاب الله تعالى هو الموجه الوحيد للانسان بلسان عربى مبين ، وإليه يرجع كل فضل و اعتراف فى إيجاد أسلوب الدعوة و التربية ، ولفت أنظار المجتمعات الجاهلية القديمة و الحديثة إلى أن الاسلام إنما يرفع مستوى الانسان فى جميع أعماله و أفكاره ، و يعتبره إنسان الدعوة و الهداية ، و إنسان الأدب و التربية ، و إنسان العطاء و الحب والولاء ، و إنسان العفة و الطهر و الأمانة ، و بذلك يجمع بين الحسنيين و ينال من ربه السعادتين .

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار » .

كل إنسان فى كل ظرف و زمان مسئول عن التدبر فى آيات الله تعالى ، التى تكمن وراء خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار ، فذلك ما يفتح الطريق إلى الاتصال بالله وتوحيده ويصرفه عن جميع الملابسات و العلائق المادية ، ويبعث فيه روح الدعوة إلى الله والهداية إلى طريقه ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، انظروا كيف يشع أدب الدعوة و الفكر البليغ فى الآيات التالية :

« إن فى خلق السماوات و الأرض اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم ، و يتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » ؟ .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

من معانى القرآن الكريم :

مراحل خلق الانسان

بقلم : معالى الدكتور راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف سابقاً لدولة الكويت

٨٩– قال الله تعالى فى سورة الحج الآية (٥) .

(يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقـــة و غير مخلقة لنبين لكم و نقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم و منكم من يتوفى و منكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) .

ربما أشكل فهم هذه الآية إلى جانب آيات أخرى التى اقتصرت ذكر أجزاء من مراحل خلق الانسان الذى مر فى مراحل عدة و تقلب فى ظلمات ثلاث فى بطن أمه، ثم خرج ضعيفاً، ثم كبر حتى صار كهلا و شيبة، و جمع هذه الآيات ضرورى لتكمل الصورة فى الذهن و يزول كل إشكال يعلق فى ذهن القارىء لأول وهلة ، فنقول : هذه الآية و آيات أخرى تتكلم عن بدء خلق الانسان و الأدوار التى يمر بها حتى نهايته ، و خلقه آية من آيات الله للعبرة و العظة (و فى أنفسكم أفلا تبصرون) (١) و بدون أن ندخل فى التفاصيل فالقرآن ليس كتاب طب، ولكنه جاء للعبرة و العظة، و فيما يلى نذكر مراحل خلق الانسان.

(من تراب)

٩٠– أى أصلكم آدم حيث خلق من التراب ، و حمل كل إنسان فى دمه و لحمه جزء أصل الخلقة ، فالتراب فى الدم و اللحم لوحلل لوجد فيه ، مخلقة آية من آيات الله ، خلقـــه على غير مثال سابق ، تراب يصير لحماً و دماً و بشر يتكلم

(١) الذاريات الآية : (٢١) .

و يعقل و يخاصم ، قال الله فى سورة الروم الآية (٢٠) (و من آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) و فى آيات أخرى : خلق من طين ، قال الله تعالى فى سورة السجدة الآية (٧) .

(الذى أحسن كل شئ خلقه و بدأ خلق الانسان من طين) و أصل الطين من التراب ، فلا طين من غير تراب .

و فى سورة الحجر الآية (٢٦) بين الله سبحانه بأنه خلق الانسان من صلصال ، فقال :

(و لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون) و الصلصال هو الطين اليابس ، يسمع صلصلة صوت إذا نقر، و الحمأ المسنون، الطين الأسود، و المسنون المتغير الرائحة بالتخمير .

و فى سورة الصافات يشير الله إلى أن الانسان خلق من طين لازب ، وهو الطين اللزج ، الذى يلصق باليد، فقال فى الآية (١١) (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب) .

و كأن الآيات تشير إلى أن الله سبحانه خلق الانسان الأول وهو آدم عليه السلام، من طين مأخوذ من التراب ثم صار طيناً لازجا، خمر حتى تغيرت رائحته و اسود، ثم صوره الله و سواه على شكل آدمى حيث يبس الطين حتى إنه لو نقر لسمع له صلصلة ، ثم نفخ فيه الروح (و صوركم فأحسن صوركم) (١).

النطفـــــــة

٩١– قال الله تعالى (ثم من نطفة) .

تتكون النطفة من منى الانسان الذى يقذفه الذكر فى فرج المرأة حيث يتجه هذا الجيش من ملايين الحيوانات المنوية إلى وجهة واحدة إلى ناحية البويضة التى

(١) التغابن الآية : (٣) .

تفرزها المرأة التى يقل قطرها عن ١/٥ ميليمتر، و عندما ينجح حيوان منوى واحد فى اختراق البويضة، يتحد معها، ينفض الجيش كله بعيداً عن البويضة ، و يبتعد عنها ، و باتحاد الحيوان المنوى بالبويضة تتكون النطفة ، و يحدث تغيير هائل فى الخلية الملقحة ، و نشاط كبير ، و تطورات لا نعرف لها سراً و لا نحصى لها عدداً ، و صدق الله إذ يقول فى سورة السجدة الآية (٨) :

(ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) .

أى أن كل خلية فى جسم الانسان تحتوى على عدد من العوامل الوراثية ، ما عدا الحيوان المنوى و البويضة ، فكل منهما يحتوى على نصف العدد من (الكروموسومات) فهى خلايا غير كاملة بل أنصاف خلايا ، تعرف بالأمشاج و باتحاد الأمشاج تتكون النطفة .

قال الله تعالى فى سورة الانسان الآية (٢) .

(إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا) .

و الأمشاج هو ذلك المنى الذى يخرج من الرجل و الذى يخرج من المرأة و يتحد فيكون النطفة ، و كان العلماء فى السابق يعتقدون أن النطفة دم جامد ، حتى تبين لهم أخيراً أنها تتكون من الأمشاج .

(القرار المكين للنطفة)

٩٢— ولا بد للنطفة بعد تكونها من التكاثر و النشاط ، وهى تتكاثر و تنشط بسرعة مدهشة و بقوة خارقة مذهلة ، ولكنها مع ذلك نطفة ضعيفة و حساسة جداً ، أقل شئ يؤذيها ، فكان لا بد أن تكون فى مكان أمين و ملجأ منيع يحميها من أية إصابة ، أو اهتزاز ، و قدر لها صانعها سبحانه و تعالى مكانا هو أكثر أماكن الجسم حماية و أعظمها منعة فى مكان محاط بعظام قوية

(١) راجع كتاب سنريهم آياتنا د . أحمد شوقى ابراهيم .

ثابتة ، إحاطة السوار بالمعصم ، وهو اقل أجزاء الجسم حركة ، هذا المكان هو الرحم الذى وضعه الخالق سبحانه داخل عظام الحوض القوية .

قال الله تعالى فى سورة المؤمنون الآية (١٢—١٣) .

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين).

و فى سورة المرسلات الآية (٢٠—٢١) .

(ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين) .

و الماء المهين هو الضعيف ، و فى جعل الله للماء المهين فى قرار مكين أمين آية من آياته ، و فى وقت كان الجنين سرا أمام الانسان مستغلقا و مجهولا ، ذكر القرآن الكريم وصفاً دقيقاً لأصل تكوين الجنين ، و تكوين أعضائه .

(الصلب و الترائب)

٩٣— قال الله تعالى فى سورة الطارق الآية (٥—٧) .

(فلينظر الانسان مم خلق) (خلق من ماء دافق) (يخرج من بين الصلب و الترائب) .

المشكل فى هذه الآية ما يقول به كثير من المفسرين من أن الجنين يتكون من الماء الذى يخرج من صلب الرجل و ترائب المرأة ، يعنون بذلك ظهر الرجل و صدر المرأة ، و فى تفسير آخر يقال : يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير ، بمنى يخرج منهما (١) و هناك رأى ينسب لابن عباس رواه العوفى أن الترائب هى اليدان و الرجلان و العينان ، و فى هذا تأويل للآية بغير ما تفيده ألفاظها ، ولا يحتمله ظاهرها ، بل و فيه مخالفة للعلم و ما توصل إليه من اكتشافات فى علم الأجنة .

الصلب هو ظهر الانسان الذى فيه عموده الفقرى ، قال الله تعالى فى سورة الأعراف الآية (١٧٢) .

(١) زاد المسير لابن الجوزى الجزء التاسع ص ٨٢ .

(و إذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) و التراثب جمع تربية ، قال أهل اللغة ، التراثب موضع القلادة من الصدر ، وحكى الزجاج أن التراثب أربعة أضلاع من يمنة الصدر ، و أربعة أضلاع من يسرة الصدر .

٩٤— أقول و إذا كانت التراثب عبارة عن أضلاع فى الصدر ، و المرأة بحكم طبيعتها تتزين فتضع قلادة على صدرها فوق هذه الأضلاع ، فلا يعنى ذلك أن التراثب تخص المرأة وحدها ، ففى الرجل كذلك تراثب ، ففى صدر الرجل عدد مماثل لما فى صدر المرأة من العظام ، و الله سبحانه فى الآية يقول (يخرج من بين الصلب و التراثب) أى من بين تراثبه ، أى بين عظام صدره ، وليس فى الآية ما يشير إلى تخصيص المرأة بالتراثب ، و إلا لما كان معنى لكلمة (بين) و لاكتفى القرآن بكلمة الصلب للرجل و التراثب للانثى ، و الصحيح أن المنى يخرج من بين الظهر و الصدر ، كما أثبت ذلك العلم الحديث ، فبالنسبة للمرأة تتحرك الغدد التناسلية فى طريق هجرتها من مكان نشأتها فى الظهر إلى أسفل البطن ، و من المعلوم أن المبيض يتجه إلى الحوض و يستقر فيه .

و فى الرجل و إن كانت الخصية فيه منشأ الحيوانات المنوية — لأن من طبيعة هذه الحيوانات أن تعيش فى درجة حرارة أقل من درجة حرارة الجسم — إلا أنها قد هاجرت من مكان نشأتها فى الظهر إلى خارج البطن فى كيس خاص بها ، و تسحب الغدد التناسلية أوعيتها الدموية و أعصابها إلى المقر الدائم الجديد ، لذلك نجد أن شريان و أعصاب كل من المبيض فى المرأة و الخصية فى الرجل يأتيان من مكان بين الصدر و الظهر ، مكان المنشأ الأول لها ، و ينشأ الحيوان المنوى فى قنوات خاصة تزيد عن الألف فى كل خصية .

فالغدد التناسلية فى الرجل و المرأة معاً تنشأ فى الجنين فى النتوء التناسلى ، بين عظام التراثب و عظام الصلب ، و هذا هو ظاهر الآية .

المد و الجزر فى تاريخ الاسلام

(الحلقة الثالثة)

بقلم : سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

تفطن العقلاء لسر قوة العرب المسلمين

قول هرقل فى هذا الأمر :

و قد فطن بهذه الحقيقة بعض معاصرى المسلمين و أعدائهم ، و أهل النظر و التمييز فى ذلك العصر من الروم و الفرس ، فمن ذلك ما روى ابن كثير أن هرقل لما انتهى إليه خبر زحف المسلمين قال لأهل الشام : « ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد و إنهم لا قبل لأحد بهم ، فأطيعونى و صالحوهم بما تصالحونهم على نصف خراج الشام و يبقى لكم جبال الروم ، و إن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام و ضيقوا عليكم جبال الروم » (١) .

قول أبى بكر و عمر رضى الله عنهما :

أما عقيدة المسلمين أنهم مبعوثون إلى الأمم موكلون باخراج الناس إلى عبادة الله وحده ، و أن الله متولى نصرهم ضامن بظفرهم ، فستلحه و تلسه فى كل ما كان يصدر من المسلمين من كلام و فعال ، و من ثقتهم و سكينة قلوبهم .

و من ذلك ما روى أن الأمراء فى اليرموك لما كتبوا إلى أبى بكر و عمر ، يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، وما يقابلونه من خطر داهم ، وعدد لا قبل لهم به ، كتب إليهم : أن اجتمعوا ، و كونوا جنداً واحـداً ، و القوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله ، و الله ناصر من نصره ، و خاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا منها (٢) .

(١) (٢) البداية و النهاية (ج ٧ ص ٥) .

قول على رضى الله عنه :

و لما استشار عمر أصحابه فى مسيره إلى العراق بوقعة نهاوند ، قال له على ابن أبى طالب : « يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، هو دينه الذى أظهر ، و جنده الذى أعزه و أمده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود من الله ، و الله منجز وعده و ناصر جنده » (١) .

قول سعد و سلمان رضى الله عنهما :

و لذلك كانوا يخاطرون بأنفسهم و يأتون بأعاجيب و أعمال خارقة للعادة ، ثقة بنصر الله و اعتماداً على موعده ، حتى إنهم خاضوا بخيولهم فى دجلة ، وكانوا يتحدثون مطمئنين كأنهم سائرون على البر ، و كان منظراً غريباً ، وجعل الفرس يقولون : « ديوان آمدند » — يعنون الجن و العفاريت — و يقولون : « ديوانه » « ديوانه » يعنون المجانين ، و كان الذى يساير سعد بن أبى وقاص فى الماء سلمان الفارسى ، فجعل سعد يقول : « حسبنا الله و نعم الوكيل ، و الله لينصرن الله وليه ، و ليظهرن الله دينه ، و ليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات ، فقال له سلمان : « إن الاسلام جديد ، ذللت لهم — و الله — البحور كما ذلل لهم البر ، أما و الذى نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً ، فخرجوا منه كما قال سلمان ، لم يغرق منهم أحد ولم يفقدوا شيئاً (٢) .

قول عبد الله بن رواحة رضى الله عنه :

بعثت هذه العقيدة و النفسية طمأنينة فى أنفسهم ، و سكينة فى قلوبهم ، و شجاعة خارقة للعادة ، و استهانة بالعدد و العدد ، و عدم عبادة للمادة ، و عدم

(١) البداية و النهاية (ج ٧ ص ١٠٧) .
(٢) البداية و النهاية (ج ٧ ص ٦٥) .

اتخاذ الأسباب أرباباً ، و عرفوا أنهم يقاتلون بقوة الدين ، و يظفرون و يغلبون ببركة الاسلام ، فكانوا شديدى الاحتفاظ ، كثيرى الاعتداد بها يتمثل ذلك فيما قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، روى يونس عن ابن إسحاق : أن المسلمين بلغهم أن هرقل نزل بمآب فى مائة ألف من الروم و مائة ألف من المستعربة (١) — و المسلمون لا يزيدون على ثلاثة آلاف — فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على معان ليلتين ينظرون فى أمرهم ، و قالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا ، فاما أن يمدنا بالرجال ، و إما أن يأمرنا بأمره فنمضى له ، قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، و قال : « يا قوم و الله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة ، و ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانما هى إحدى الحسنيين : إما ظهور ، و إما شهادة » قال : فقال الناس قد — و الله — صدق ابن رواحة فمضى الناس (٢) .

قول أبى عبيدة رضى الله عنه :

كانوا واثقين بما وعدهم به رسولهم — ﷺ — عن الفتوح العظيمة ، فاذا رأوا من ذلك شيئاً قالوا : « هذا ما وعدنا الله و رسوله ، و صدق الله و رسوله ، وما زادهم إلا إيماناً و تسليماً (٣) .

جاء رجل إلى أبى عبيدة يوم اليرموك ، فقال : « إنى قد تهيأت لأمرى ، فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم تقرئه عنى السلام ، و تقول : يا رسول الله : إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » (٤) .

قول خالد رضى الله عنه :

و قد بلغوا فى قلة الاهتمام بالعدد و الاستخفاف بشأن العدو و كثرته ،

(١) المستعربة : العرب التى اعتنقت النصرانية .
(٢) البداية و النهاية (ج ٤ ص ٢٤٣) .
(٣) الآية ٢٢ من سورة الأحزاب . (٤) البداية و النهاية (ج ٧ ص ١٢) .

حتى كأنهم من حديد و العدو من طين و خزف، أو كأنهم مناجل و العلوج (١) حقول و مزارع ، قد أينعت و حان حصادها .

قال المؤرخون : لما أقبل خالد من العراق ، قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الروم و أقل المسلمين ! فقال خالد : و يلك أتخوفنى بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر ، و تقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، و الله لوددت أن الأشقر (٢) براء من توجيه (٣) و أنهم أضعفوا فى العدد ، و كان فرسه قد حفى و اشتكى فى مجيئه من العراق (٣) .

قول ربعى بن عامر فى مجلس يزد جرد :

و قد ارتفع هؤلاء وعلت هممهم ، وكبرت نفوسهم ، و عظم الدين و الحقيقة و الأخلاق فى نظرهم ، حتى صغرت الدنيا و زخارفها فى عيونهم ، و هان أهلها عليهم ، فكانوا يرون إلى أبهة الملوك و تخفخة السلاطين ، وما فيه أغنياء هاتين المدنيتين و مترفوها من الأثاث و الرياش ، و زخارف الدنيا ، كأنهم يرون إلى لعب الصبيان ، و كأنهم يرون الدمى و البنات المصنوعة من ورق أو قماش ، و مواكبها و زينتها لا يهولهم شئ ولا يعظم فى عينهم شئ .

أرسل سعد قبل القادسية ربعى بن عامر رسولا إلى رستم — قائد الجيوش الفارسية و أميرهم — فدخل عليه و قد زينوا مجلسه بالنمارق (٥) المذهبة و الزرابى (٦) و أظهر اليواقيت و اللآلى الثمينة و الزينة العظيمة ، و عليه تاجه و غير ذلك من الأمتعة الثمينة ، و قد جلس على سرير من ذهب ، و دخل ربعى بثياب صفيقة ،

(١) العلج : الرجل الضخم القوى من كفار العجم وقد يطلق على الكافر عموماً .
(٢) الأشقر : فرس خالد وكان قد رقت قدمه فى مسيره من العراق إلى الشام .
(٣) توجيه : وجى الفرس و توجى : أصيب بالوجى وهو أن يشتكى الفرس باطن حافره . (٤) البداية و النهاية (ج ٧ ص ٩) .
(٥) النمارق : جمع نمرقة بضم النون و القاف و بكسرهما وهى الوسادة .
(٦) الزرابى : جمع زربية بضم الزاى وكسرها وفتحها وهى الطنفسة أى السجادة .

و سيف و ترس و فرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل و ربطها ببعض تلك الوسائد ، و أقبل و عليه سلاحه و درعه و بيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك ، فقال : إنى لم آتكم و إنما جئتكم حين دعوتمونى ، فان تركتمونى هكذا و إلا رجعت . فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، و من أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله ، قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، و الظفر لمن بقى ، فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه و تنظروا ؟ قال : نعم كم أحب إليكم يوماً أو يومين ؟ قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا و رؤساء قومنا ، فقال ، ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر فى أمرك و أمرهم ، و اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال ، لا ، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم ، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز و أرجح من كلام هذا الرجل ؟ ! فقالوا : معاذ الله أن تميل إلى شئ من هذا ، و تدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب و انظروا إلى الرأى و الكلام و السيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب و المأكل و يصونون الأحساب (١) .

المغيرة بن شعبة يجلس على سرير رستم :

و دخل المغيرة بن شعبة على رستم و قعد معه على السرير فنخروا و صاحوا ،

(١) البداية و النهاية (ج ٧ ص ٣٩ — ٤٠) .

فقال : إن هذا لم يزدنى رفعة ولم ينقص صاحبكم ، فقال رستم : صدق (١) .

أخلاق الصحابة و سيرتهم التى انتصروا بها :

و كان من أكبر أنصار المسلمين أخلاقهم العالية و سيرتهم الملكية ، فكانوا يمتازون بها و يعرفون بها أينما رحلوا و نزلوا ، و كانت هـذه الأخلاق طليعة جيوشهم ، تسخر لهم القلوب و النفوس ، و تشرح لهم الصدور قبل أن تعمل سيوفهم و رماحهم و نبالهم ، و الذين كانوا يشهدونها و يجربونها ، كانوا يشهدون أن هؤلاء سيغلبون و يملكون الدنيا ، و أن الفرق بينهم و بين أقرانهم كالفرق بين البهائم و الملائكة .

روى أحمد بن مروان المالكى فى المجالسة بسنده عن أبى إسحاق ، كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة (٢) عند اللقاء، فقال هرقل — وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم — : ويلكم أخبرونى عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً فى كل موطن ، قال : فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل و يصومون النهار ، و يوفون بالعهد ، و يأمرون بالمعروف ، و ينهون عن المنكر ، و يتناصفون بينهم ، و من أجل أنا نشرب الخمر ، و نزنى ، و نركب الحرام ، و ننقض العهد ، و نغضب ، ونظلم ، ونأمر بالسخط ، وننهى عما يرضى الله ، و نفسد فى الأرض ، فقال : أنت صدقتنى (٣) .

و سأل هرقل هذا رجلا كان قد أسر مع المسلمين ، فقال : أخبرنى عن هؤلاء القوم ، فقال أخبرك كأنك تنظر إليهم : هم فرسان بالنهار ، رهبان بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن كنت صدقتنى ليملكن موضع قدمى هاتين .

(١) البداية و النهاية (ج ٧ ص ٤٠) . (٢) فواق ناقة : مدة حليبها .
(٣) البداية و النهاية ج ٧ ص ١٥) .

و وصف رجل من الروم المسلمين لرجل من أمراء الروم فقال : جئتك من عند رجال دقاق ، يركبون خيولا عتاقاً ، أما الليل فرهبان ، و أما النهار ففرسان ، يريشون النبل (١) و يبرونها ، و يثقفون القنا (٢) لو حدثت جليسك حديثاً ، ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن و الذكر ، قال فالتفت إلى أصحابه و قال : « أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به » (٣) .

حببتهم هذه الأخلاق إلى أعدائهم الذين كانوا يقاتلونهم ، حتى إن كان هؤلاء ليؤثرونهم على بنى جلدتهم و أبناء ملتهم ، و يتمنون لهم الظفر ، و يدفعون عنهم العدو ، و يتطوعون لمصالحهم .

قال البلاذرى فى فتوح البلدان : حدثنى أبو حفص الدمشقى ، قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، قال : بلغنى أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع ، و بلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ، ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج ، و قالوا : قد شغلنا عن نصرتكم و الدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : لولايتكم و عدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم و الغشم ، و لندفعن جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم ، و نهض اليهود ، فقالوا : و التوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص ، إلا أن نغلب و نجهد ، فأغلقوا الأبواب و حرسوها ، و كذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى و اليهود ، و قالوا : إن ظهر الروم و أتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، و إلا فانا على أمرنا ما بقى للمسلمين عـدد ، فلما هزم الله الكفرة و أظهر المسلمين ، فتحوا مدنهم و أخرجوا المقلسين ، فلعبوا و أدوا الخراج (٤) .

« يتبع »

(١) يعملون لها ريشاً . (٢) يقومونها .
(٣) البداية و النهاية (ج ٧ ص ١٦) .
(٤) قلس القوم : استقبلوا الولاة عند قدومهـم بضرب الدف و الغناء و أصناف اللهو .

« ما أحلى الفرج بعد الشدة »

بقلم : د . محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض

الحياة مواقف ، و يتأثر الانسان من موقف جاء مصادفة ، فكانت حقائقه أغرب من الخيال ، وعبره أمكن مؤثر ، و القارئ و السامع فى تلقيهما يحتاجان إلى التنويع ، ليجيلا الفكر فى أخذ الفطر ، و يستنير ذهناهما فى التأثر و الاعتبار ، أما المؤمن فهو الذى يقوى إيمانه من كل موقف ، ليزداد ارتباطاً بخالقه كلما جاءت المفاجأة ، أو سمع تذكرة لأن الله يقول و قوله الحق : « إن مع العسر يسراً » و يقول سبحانه : « و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب » .

و لهذا فان أى موقف يمر ، و أى حادثة تبرز غرائب أحداثها ، فانما هى درس ، يجب أن تمتد جذوره الايمانية ، إلى ما يوصل ذلك الايمان ، ويزيد الآخرين يقيناً بأهمية حسن النية ، و قوة التوكل على الله ، و الاعتماد عليه سبحانه فى كل أمر ، و الاهتمام بالمكسب الحلال ، فانه من أسباب اجابة الدعوة ، و باب من أبواب الفرج . .

اخترت لك أخى القارئ قصة تأثرت بها بعد أن قرأتها ، أوردها التنوخى فى كتابه : الفرج بعد الشدة ، لأنها تحمل أكثر من معنى ، و لأن حقيقتها أغرب ، و مفاجآتها أمكن مما يورده كتاب الأفلام فى قصصهم و خيالاتهم ، و مما يبرزه الروائيون فى مسلسلاتهم التى نمقت بالأسلوب و الصياغة . . يقول التنوخى : حدثنى عبيد الله بن محمد عن بعض تجار الكرخ ببغداد قال : كنت أعامل رجلا من أهل خراسان ، أبيع له فى كل موسم متاعاً ، فانتفع من سمسرته بألوف الدراهم .

فلما كان سنة من السنين تأخر عنى ، فأثر ذلك فى حالى ، و تواترت على

بحن . فأغلقت دكانى ، و جلست فى بيتى ، مستتراً من دين لحقنى ، اربع سنين فلما كان فى وقت الحاج ، صرت أتتبع خبره ، و أسأل الناس عنه ، طمعاً فى إصلاح أمرى به ، فمضيت إلى سوق من أكبر أسواق بغداد ، يتجمع فيه الحاج ليبيعوا و يشتروا ، فلم أعط له خبراً ، فرجعت ، و نزلت الجزيرة و أنا فى منتهى الغم و التعب . . و كان يوماً حاراً ، فنزلت إلى دجلة ، فاغتسلت وتبرد جسمى ، و صعدت فابتل موضع قدمى ، فقلعت رجلى قطعة من الطين المخالط للرمل ، فانكشفت تحتها سير ، لم التفت إليه بادئ الأمر .

فلبست ثيابى ، و جلست مفكراً ، و نظرى مولع بهذا السير ، و قلبى يدفعنى للفضول و أخذه فلم أزل أجره ، حتى ظهر لى همیان - و هو ما نسميه الكمر - حيث يشد على الوسط لتحفظ فيه النقود ، موصول بذلك السير ، فأخذته ، فاذا هو مملوء دنانير ، فأخفيته تحت ثيابى ، و وافيت منزلى ، وفتحته ، و عددت الدنانير فاذا هى ألف دينار .

فقويت نفسى قوة شديدة ، و عاهدت الله عز و جل ، أنه متى صلحت حالى و عادت ، أن أعرف الهميان ، فمن أعطانى صفته ، رددته إليه ، خوفاً من الله ، و امتثالا لأمر رسوله الكريم ﷺ فى تعريف اللقطة .

و احتفظت بالهميان ، و أصلحت أمرى مع غرمائى ، و فتحت دكانى و عدت إلى رسمى من التجارة و السمسرة ، فما مضت إلا ثلاث سنين ، حتى حصل فى ملكى ألوف الدنانير .

ثم جاء الحجيج ، فتتبعتهم لأعرف الهميان ، فلم أجد من يعطينى صفته ، فعدت إلى دكانى .

فبينما أنا جالس ، إذا رجل قائم حيال دكانى ، أشعث أغبر ، وافر الشعر فى خلقة الشحاذين الخراسانيين ، وزيهم فظننته سائلا ، فأومأت إلى دريهمات لأعطيه ، فأسرع بالانصراف ، فأرتبت فيه ، و قمت و لحقته و تأملته ، فاذا

هو صاحبي الذى كنت انتفع بسمسرته فى كل سنة مما مضى بألوف الدراهم . .
فقلت له : يا هذا ما الذى أصابك ؟ ! و بكيت رحمة له .

فبكى و قال : حديثى طويل ، فقلت : البيت . . و حملته إلى منزلى فأدخلته الحمام و ألبسته ثياباً نظافاً ، و أطعمته و سألته عن خبره .

فقال : أنت تعرف حالى و نعمتى ، و إنى أردت الخروج إلى الحج فى آخر سنة جئت إلى بغداد فقال لى أمير البلد : عندى قطعة ياقوت أحمر كالكف لا قيمة لها عظماً و جلالة ، و لا تصلح إلا للخليفة ، فخذها معك ، فبعها لى ببغداد ، و اشتر من ثمنها لى متاعاً طلبه . . من عطر و طرف بكذا و كذا ، و أحمل الباقى مالا .

فأخذت قطعة الياقوت ، و هى كما قال : فجعلتها فى هميان جلد ، من صفته كيت و كيت ، و وصف الهميان الذى وجدته ، و جعلت فى الهميان ألف دينار عيناً من مالى ، و حملته فى وسطى .

فلما جئت بغداد ، نزلت أصبح عشياً فى الجزيرة التى قرب السوق الكبير ، و تركت الهميان و ثيابى بحيث ألاحظها أثناء سباحتى .

فلما صعدت من دجلة ، لبست ثيابى عند غروب الشمس ، و أنسيت الهميان ، فلم أذكره إلا فى صباح اليوم التالى ، فعدت أطلبه ، فكأن الأرض ابتلعته ، فهونت على نفسى المصيبة ، و قلت : لعل قيمة الحجر ثلاثة آلاف دينار ، أغرمها له .

ثم سرت إلى الحج ، فلما رجعت ، حاسبتك على ثمن متاعى ، و اشتريت للأمير ما أراده ، و رجعت إلى بلدى ، فأنفذت إلى الأمير ما اشتريته ، وأتيته فأخبرته بخبرى ، و قلت له : خذ منى تمام ثلاثة آلاف دينار ، عوضاً عن الحجر « قطعة الياقوت » .

فطمع فى و قال : قيمته خمسون ألف دينار ، و قبض على ، و على جميع ما أملكه من مال و متاع ، و أنزل بى صنوف المكاره ، حتى أشهد على فى جميع أملاكى ، و حبسنى سبع سنين ، كنت يردد على فيها العذاب .

فلما كان فى هذه السنة ، سأله الناس فى أمرى ، فأطلقنى . . فلم يمكننى المقام ببلدى ، وتحمل شماتة الأعداء ، فخرجت على وجهى ، أعالج الفقر ، بحيث لا أعرف ، و جئت مع الحج الخراسانى ، أمشى أكثر الطريق ، و لا أدرى ما أعمل ، فجئت إليك لأشاورك فى معاش أتعلق به .

فقلت : قد رد الله عليك بعض ضالتك ، هذا الهميان الذى وصفته عندى ، و كان فيه ألف دينار أخذتها ، و عاهدت الله تعالى ، أنى ضامنها لمن يعطينى صفة الهميان ، و قد أعطيتنى أنت صفته ، وعلمت أنه لك ، وقمت فجئته بكيس فيه ألف دينار .

و قلت له : تعيش بهذا فى بغداد ، فانك لا تعدم خيراً إن شاء الله .

فقال لى : يا أخى الهميان بعينه عندك ، لم يخرج من يدك؟ قلت : نعم .

فشهق شهقة ، ظننت أنه قد مات معها ، و غشى عليه ، فلما أفاق بعد ساعة ، قال لى : أين الهميان ؟ .

فجئته به ، فطلب سكيناً فأتيته بها ، فخرق أسفل الهميان ، و أخرج منه حجر ياقوت أحمر أشرق منه البيت ، و كاد يأخذ بصرى شعاعه ، و أقبل يشكرنى ، و يدعو لى .

فقلت له خذ دنانيرك . . فحلف بكل يمين ، لا يأخذ منها إلا ثمن ناقة ، و محمل ، و نفقة تبلغه ، فبعد كل جهد أخذ ثلثمائة دينار ، و أحلنى من الباقى ، و أقام عندى ، إلى أن عاد الحاج ، فخرج معهم .

فلما جاء العام المقبل ، جاءنى بقريب مما كان يجيئنى به سابقاً من المتاع ،

فقلت له : أخبرنى خبرك . . فقال : مضيت ، فشرحت لأهل البلد خبرى ، و أريتهم الحجر ، فجاء معى وجوههم إلى الأمير ، و أعلموه القصة ، و خاطبوه فى إنصافى . . فأخذ الحجر ، و رد على جميع ما كان أخذه منى ، من متاع و عقار و غير ذلك ، و وهب لى من عنده مالا . . و قال : اجعلنى فى حل مما عذبتك و آذيتك . . فأحللته . . و عادت نعمتى إلى ما كانت عليه ، وعدت إلى تجارتى و معاشى ، و كل هذا بفضل الله تعالى ، ثم بركتك . . و دعا لى ، و كان يجيئنى بعد ذلك حتى مات ، فما ألذ مثل هذه النتيجة ، وما أعظم أثرها! و لا وفاء لذلك إلا بالشكر لله و الاعتراف بالفضل الجزيل له سبحانه ، لأن الله يمتحن النفوس بمثل هذه المواقف .

المسبحة و غرائبها :

السبحة والمسبحة فى عصرنا هذا بلغت من الكثرة بحيث إنك لن تجد مدينة فى العالم لاتباع فيها ، واختلف الناس فى كيفية استعمالها واهتمامهم بها ، وتفننت شعوب الأرض فى كيفية صنعها ، وحجمها ، فالأفارقه يصنعونها من الخشب أومن نوى الثمار ، والأثرياء يقتنون مسابح من الفضة أو الذهب ، ونفيس الجواهر .

و أصحاب التحف يهتمون بالمسابح الأثرية و ما يصنع من اللؤلؤ ، والهنود يصنعونها من أنواع عديدة من الأخشاب ومن أحجار الكهرمان ، و فى العراق يهتم كبار السن بالمسابح ذات الحبات الكبيرة التى تكاد لا تحمل إلا بمساعدة حمال ، أما المصانع اليابانية ، فأغرقت الأسواق بمسابح من الخشب ومن البلاستيك و غير ذلك . . فهى للتسلية ولها هواة يجمعونها ، و يغالون فى ثمنها كأى تحفة من التحف . . وإن المتصفح للتأريخ الاسلامى ليجد طرائف وغرائب ، فمن ذلك .

— سبحة زبيدة ، قال صاحب كتاب البصائر و الذخائر : إنها اشترتها بخمسين ألف دينار ذهبى (١ : ١٤٥) .

— و ذكر الصفدى فى الوافى بالوفيات أن نصر الدولة صاحب ميافارقين كانت له سبحة من اللؤلؤ ، عدد حباتها مائة و أربعون لؤلؤة ، وزن كل حبة مثقال ، و فى وسطها الجبل الياقوت ، و قطع بلخش ، و قدرت قيمة ذلك بثلاث مائة ألف دينار (١ : ١٢٢) .

— و صاحب نشوار المحاضرة ذكر أن الخليفة العباسى كانت لديه مسحة قومت بمائة ألف دينار . . كما روى عن جاريته عمرة قالت : بأن المقتدر استدعى بجواهر ، فاختار منها مائة حبة ، و نظمها مسبحة يسبح بها ، و أن هذه المسبحة عرضت على الجوهريين فقوموا كل حبة منها بألف دينار أو تزيد (١٤٧) .

— و ذكر ابن الأثير فى تاريخه أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لما خرج من المغرب بجيشه واستولى على غرناطة بالأندلس بعد ما استنجد به ملوك الأندلس فى عام ٤٧٩هـ وجد لصاحب غرناطة سبحة جوهر من أربع مائة حبة ، و قومت كل حبة بمائة دينار (١٠ : ١٥٥) .

— أما صاحب كتاب المنتظم ، فقد أورد معلومات ، منها أن الخليفة العباسى المقتدر فى عام ٣٣٣هـ لما سمله توزون ، و نصب المستكفى خليفة بدلا منه ، أراد المستكفى أن يكافئه فأرسل إليه سبحة جوهر فى قد واحد ، خاتمتها ياقوتة حمراء ، قومت بخمسين ألف دينار (٧ : ٢٧٥) .

— أما محمد بن عمر العلوى فكانت له سبحة جوهر قيمتها مائة ألف دينار (٧ : ٢١٢) .

— أما سبحة زيدان التى يضرب بها المثل فهى للمقتدر أعطاها لقهرمانته زيدان (٦ : ٧٠) .

— و لما وزر على بن عيسى للمقتدر قال : ما فعلت سبحة جوهر ، قيمتها ثلثمائة ألف دينار ، أخذت من ابن الجصاص ، قال : فى الخزانة ، فقال : تطلب ،

فطلبت فلم توجد ، فأخرجها الوزير من كمه و قال : عرضت على فاشتريتها ، فاذا كانت خزانة الجواهر لا تحفظ فما الذى يحفظ ؟ فاشتد ذلك على المقتدر ، الذى عرف عنه حبة للنفائس و منها السبح (٦ : ٧٠) .

— أما أطرف ما يسمع من نوادر المسابح ، فهى تلك القصة التى تسمعها من ألسنة كثير من العراقيين عن مسبحة الباقلاء لاغاظة أهل بلدة الحلة و تكاد تكون من القصص الشعبية المستفيضة : وتوضيح ذلك أن أهل الحلة يكثرون من زراعة الباقلاء و أكلها ويعيرهم جيرانهم بذلك ، كما هى عادة القرى و المدن المتجاورة ، فكانوا يغضبون من ذلك ، و كان أحد شيوخ بلدة النجف يقضى شهرين من فصل الصيف فى إحدى ضواحى الحلة ، فاذا مر موكبه تخطى وسط مدينة الحلة حتى يصل إلى القرية ، و قد لاحظ أنه إذا مر بسوق الحلة يسمع الشتائم خلفه ، فيعجب ، وقد تبين له السبب بأن أحد تلاميذه يتحرش بأهل الحلة و يعيرهم بالباقلاء فيسبونه ، فأنذر الشيخ ذلك التلميذ ، و أنه لن يصطحبه معه مرة أخرى ، فاعتذر لشيخه و حلف له بعدم فتح فمه فى الموضوع أمامهم مرة أخرى ، لكن الشيخ فوجئ بالشتائم تتزايد ، فنظر لتلميذه ووجده صامتاً كما وعد ولكن قد رفع كفه حاملا مسبحة من الباقلاء ، يسبح بها أمام الناس . . لتتمثل فيها شقاوة الأولاد ، و حبهم للاثارة . .

ولو تتبعنا ما رصد عن المسبحة لخرجنا بنتيجة تفوق ما عليه الغرب اليوم من حب للتحف و رغبة فى المباهاة ، والمفاخرة . . أما الفكرة الأساسية للسبحة فلعلها بدأت مع الرغبة فى التسبيح بالحصا أو النوى ، و لذلك نوادر وحكايات أيضاً ، أنكرها ابن مسعود رضى الله عنه على من كان يعملها و نهاهم عن ذلك و أخبرهم أن سنة المصطفى ﷺ التسبيح باليد اليمنى ، فلعل الناس اليوم يعون من هذه السنة و يطبقونها ، و الله الموفق .

التكفير و أسبابه فى العصر الحاضر

بقلم : دكتور عمر يوسف حمزه
كلية الشريعة — جامعة قطر

لخص بعض أهل العلم أسباب التكفير فى العصر الحاضر فى الآتى : (١) .

١— الاضطهاد السياسى .
٢— فقدان الثقة بالعلماء الرسميين .
٣— محاولة أخذ الأحكام من القرآن مباشرة دون معرفة كافية .
٤— الخلط بين الكفر الأصغر (كفر الأعمال) و الأكبر (كفر الاعتقاد) .

و سوف أتحدث عن هذه النقاط بايجاز إن شاء الله تعالى .

أولا : الاضطهاد السياسى :

إن الاضطهاد السياسى قديم الجذور فى أمة الاسلام ، وظهر هذا التيار بعد عهد الخلفاء الراشدين — رضى الله عنهم — و أخذ يتشر ، فقد أخبرنا الامام الجصاص : أن مروان بن الحكم وقف على منبر المصطفى ﷺ يقول : « إنى لن أداوى أمراض هذه الأمة بغير السيف ، و الله لا يأمرنى أحد بعد مقامى هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه » (٢) .

وما فعلته جيوش الأمويين فى المدينة و مكة ، وما مارسه أمثال زياد بن أبيه و الحجاج من البطش أكبر من أن يحصى ، و سار الحكم العباسى على نفس النهج و زاد فيه كما ذكر ذلك ابن خلدون (٣) و ابن الأثير (٤) إن الذى حدث

(١) انظر : التكفير ، جذوره ، أسبابه ، مبرراته ، ص ٤١ فما بعدها .
(٢) انظر : أحكام القرآن ، للامام الجصاص ج ١ ص٨٢ ، المطبعة البهية بمصر .
(٣) مقدمة ابن خلدون ١٧٧/٣ .
(٤) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦٩ .

فى الماضى كان مخزياً للمسلمين ، و أصاب الأمة بكثير من الضعف و التفكك ، و يئست من الثورة و الخروج على الحكام الظالمين ، حتى إذا جاء العصر الحديث وجدها الغرب لقمة سائغة ، فسقطت بلاد المسلمين بلداً بعد آخر بيد المستعمرين الكافرين ، فرضخت الأمة للاستعمار يتصرف بمقدراتها يشرع لها و ينهب خيراتها و يسلط عليها شرارها ، و يقتل و يشرد ، و يعذب خيارها ، ثم زالت دولة الاستعمار و قامت حكومات وطنية كما سميت ، ولكنها اجتهدت لتكون (نسخة طبق الأصل) لدول الاستعمار ، وكانت هذه الحكومات فى معظمها بعيدة عن الدين و الخلق ، فساهمت بتربية أجيال بلا هوية ، ولا خلق و لا دين ، ونتج عن ذلك كثرة الانقلابات على تلك الحكومات الضعيفة ، لتعقبها حكومات لا يساوى الفرد المسلم فيها شيئاً ، فامتهنت كرامة الانسان ، و تعرض المسلم الملتزم للقتل ، والاضطهاد بحسب درجته من الصدق و الاخلاص .

إن آلاف المؤمنين يموتون الآن فى سجون الحكومات الظالمة فى البلاد الاسلامية من غير اتهام و لا تحقيق ، و يلاقون كل أنواع العذاب و الاعتداء و يتم هذا التعـــذيب و القتل تحت نظر وسمع العالم ، ولا أحد ينكر على هؤلاء الحكام الظلمة و يوجد شبه اتفاق عالمى و خاصة من القوى الكبرى ، ضد المسلمين الملتزمين و ضد وصولهم الحكم ، كما نلاحظ ما يجرى الآن فى كثير من البلاد العربية ، و الحرب الاعلامية التى تشنها أجهزة إعلام الدول الكبرى ضد الجماعات الاسلامية و وصفهم بالمسلمين الأصوليين .

و كان من آثار هذا الاضطهاد و التعذيب ظهور بعض الشباب المتمسكين بدينهم و المتحمسين لتطبيقه فى كل شأن من شئون المجتمع ، و أن يكون الحكم لله تعالى وحده ، و أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فقد كفر ، فناقشوا مناهج

الحكم فى بلدانهم ثم توصلوا إلى نتيجة عقلية أن هؤلاء الحكام كفار و سيأتى الرد على هذا — إن شاء الله تعالى .

ثانيا : فقدان الثقة بالعلماء الرسميين :

كان العلماء من سلف الأمة الصالح ينصحون الحكام ولا يسكتون على ظلمهم ، من أجل ذلك ، نشأت جفوة بين العلماء و الحكام منذ العهد الأموى ، و قد كان موقف كبار العلماء البعد الدائم عن رجال الحكم ، و قد يعرض على بعضهم القضاء و غيره فيتهرب منه فتكون النتيجة الضرب و السجن .

يقول عبد الله بن المبارك : « لم أر أورع من أبى حنيفة . فماذا يقال فى رجل عرضت عليه الدنيا و الأموال فنبذها ، و ضرب بالسياط فصبر عليها ، ولم يدخل فيما كان غيره يستدعيه » (١) .

و حينما تمادى الحجاج فى طغيانه و ظلمه و ثار عليه عبد الرحمن بن الأشعث ، كان فى جيشه فرقة من العلماء ، كما يقول ابن كثير ، كما وقف إلى جانبه أكابر العلماء أمثال الشعبى و ابن أبى ليلى و سعيد بن جبير و أبى البخترى ، و وقف كبار العلماء ، يحمسون الثائرين ، و يزيلون الذى يجدون .

و قال ابن أبى ليلى (أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل ؟ و منكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برىء ، و من أنكر بلسانه فقد أجر ، وهو أفضل من صاحبـــه ، و من أنكر بالسيف لتكون كلمة الله هى العليا ، و كلمة الظالمين السفلى فذلك الذى أصاب سبيل الهدى ، و نور فى قلبه اليقين ، فقاتلوا مؤلاء المحلين المبتدعين المحدثين ، قد جلهوا الحق فلا يعرفونه و عملوا بالعدوان فلا ينكرونه) (٢) .

(١) انظر : مناقب أبى حنيفة للكروى ، ج ٢ ص ١٥ .
(٢) الخلافة و الملك ، للمودودى ص ١٨٥ .

و يروى أن يزيد بن هبيرة والى الأمويين على العراق — فى آخر عهدهم — أراد تجميل وجه الحكم ، فجمع أكابر الفقهاء و ألزمهم بقبول بعض المناصب ، و فيهم أبو حنيفة ، و قال له : سأجعل فى يدك خاتم الدولة ، ولن ينفذ حكم إلا إذا صادقت عليه ، ولن يخرج من بيت المال درهم ، حتى تعتمد ذلك ، فرفض الامام أبو حنيفة ذلك ، فقيده و راح يضربه عشر جلدات على رأسه يوميا ، و خاف عليه أصحابه فقال له الفقهاء : ارفق بنفسك ، و ارحم حالك ، فنحن إنما قبلنا هذه الوظائف جبراً و اضطراراً ، فاقبلها كما قبلناها ، فقال لهم : (لو أرادنى أن أعد له أبواب مسجد واسط لم أدخل فى ذلك الكتاب فو الله لا أدخل فى ذلك أبداً (و عرض عليه ابن هبيرة مناصب أخرى فرفضها فراح ينكل به حتى مل ابن هبيرة من ذلك ، فأطلق سراحه ، فترك الامام أبو حنيفة العراق إلى مكة ولم يعد حتى زال ملك بنى أمية ، و كان ذلك عام ١٣٠هـ (١) .

إذا كانت هذه مواقف علماء السلف من حكام بنى أمية و بنى العباس مع ما كان لهؤلاء الحكام من فضل فى نشر الاسلام و الدفاع عنه ، و الوقوف فى وجه اعدائه ، و حفظوا للامة الاسلامية كرامتها ، و التزموا بالاسلام عقيدة و شريعة ، فان الذى حدث فى العصور المتأخرة عكس ذلك ، لأننا وجدنا بعض العلماء أصابتهم الأمراض « الاجتماعية » التى تصيب غيرهم ، فراحوا يداهنون الحكام ، الذين ابتعدوا عن الاسلام ، و تعاليمه ، و الكثير منهم لا يعرف حقا ولا ينصر مظلوماً ، وجل همهم هو المحافظة على كراسى الحكم (٢) .

هؤلاء الحكام وجدوا من بعض العلماء أو ممن تشبهوا بهم ، من يبرر لهم

(١) انظر : المصدر السابق ص ١٧٥ .

(٢) التكفير ، ص ٥٥ بتصرف .

جميع تصرفاتهم ، ولذا فقد جهور الأمة الثقة بالعلماء ، و خاصة الشباب لهذه الأسباب و غيرها اتجه الشباب إلى القرآن و السنة لأخذ العلم منهما باعتبارهما المصدرين الأساسيين لمعرفة أحكام الاسلام مع أنه لا تتوافر لدى هؤلاء الشباب المقدرة العلمية الكاملة لاستنباط الأحكام من القرآن الكريم و السنة المشرفة على صاحبها أزكى الصلاة و أتم التسليم .

ثالثاً : أخذ الأحكام من القرآن و السنة :

من أسباب التكفير فى العصر الحاضر أخذ الأحكام مباشرة من القرآن و السنة دون استيفاء شروط الاجتهاد و كان هذا العمل نتيجة لفقد الثقة من الشباب فى العلماء .

و الأخذ من القرآن و السنة كان شائعاً فى عصر الصحابة ، رضى الله عنهم و ذلك نتيجة الآتى :

١— لأن القرآن كان هدف الصحابة الأول يحفظونه و يفهمونه ، و يتلقون ما يصدر عن رسول الله ﷺ و يهتدون بهديه و ينشرون نوره .

٢— لأن الصحابة — رضى الله عنهم — أعلم الناس بالظروف و الملابسات التى أحاطت بنزول القرآن ، و التى تعين على فهم آياته و وقائعه .

٣— و لأنهم أعلم من غيرهم بأوضاع لغة العرب و أسرارها (١) .

٤— و قد أخذوا تفسيره من رسول الله ﷺ ، و اشفقوا على أنفسهم من أن يقولوا فى القرآن برأى لم يقفوا عليه من رسول الله ، و يبلغ بهم التحرج حدا قال معه أبو بكر — رضى الله عنه — أى سماء تظلنى ، و أى أرض

(١) انظر : دراسات فى أصول التفسير و مناهجه ، ص ٤٢ ، د . عمر يوسف حمزه ، شركة سعيد رأفت للطباعة و النشر بمصر ، سنة ١٩٩٠م ، طبعة أولى .

تقلنى إذا قلت فى القرآن برأى ، أو بما لا أعلم (١) .

يقول الامام السيوطى : رحمه الله تعالى — ولا أحفظ عن أبى بكر رضى الله عنه — فى التفسير إلا آثاراً قليلة جدا لاتكاد تجاوز العشرة (٢) .

و لكن مع هذا الحرج الشديد لدى الصحابة — رضى الله عنهم — فقد تحملهم أمانة الرسالة التى نيطت بهم بعد رسول الله ﷺ — أن يبينوا للناس ما خفى عليهم من أمر الدين ، فكانوا إزاء ما لم يؤثر فيه تفسير عن النبى ﷺ ، أن يقولوا فيه برأيهم على قدر ما فهموا مع التحرج و الاشفاق ، فقد استفتى أبو بكر — رضى الله عنه — فى الكلالة حين سئل عنها فى قول الله تعالى يستفونك قل الله يفتيكم فى الكلالة » الآية (٣) .

فقال : « أقول فيها برأى فان كان صواباً فمن الله ، و إن كان غير ذلك فمنى و من الشيطان ، الكلالة : كذا وكذا (٤) و قد فسرها أبو بكر — رضى الله عنه — بأنه من لا ولد له ولا والد (٥) .

و إذا كان الصحابة وهم أكثر الناس معرفة بكتاب الله تعالى و سنة رسوله ﷺ ، قد تفاوت فهمهم لكتاب الله و وقع الخطأ فى فهم بعضهم وهم أولى الناس بتفسير القرآن بما توافر لديهم من أدوات تعين على ذلك ، فهو الآن أكثر صعوبة ، خصوصاً على الشباب المتحمس للاسلام الذين لم يأخذوا من اللغة ،

(١) انظر : فتح القدير ، للامام الشوكانى ، ج ٥ ص ٣٨٧ ، طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

(٢) انظر : الاتقان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٥٢٩ ، للامام السيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئه المصرية العامة للكتاب .

(٣) سورة النساء : الآية ١٧٦ .

(٤) انظر : مناهل العرفان ج ١ ص ٥٢٥ محمد عبد العظيم الزرقانى ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

(٥) انظر : تفسير ابن عطية ج ٤ ص ٣١٠ و ابن جرير الطبرى عند تفسير الآية .

و معرفة أسباب النزول ، و الاحاطة بالسنة إلا قليلا فاذا أضيف إلى ذلك الظروف التى تحيط بهؤلاء الشباب ، اتضح لنا مقدار الصعوبة التى تواجههم ، واحتمال وقوع الخطأ فى الأخذ من القرآن و السنة مباشرة .

و أذكر هنا مثالا واحداً لفهم خاطئ وقع من بعض الصحابة — رضى الله عنه — و يمكننا بعد ذلك أن نتصور مدى خطورة هذا الأمر :

روى أن عمر — رضى الله عنه — استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ، فقدم الجارود على عمر ، فقال : إن قدامة شرب فسكر ، فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟ قال الجارود : أبو هريرة يشهد على ما أقول ، و ذكر الحديث ، فقال عمر : يا قدامة إنى جالدك ، قال : والله لو شربت كما يقولون ما كان لك أن تجلدنى : قال عمر : ولم ؟ قال لأن الله يقول : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا و آمنوا و عملوا الصالحات ، ثم اتقوا و آمنوا ، ثم اتقوا و أحسنوا » (١) فقال عمر : إنك أخطأت التأويل يا قدامة ، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله ، و فى رواية فقال : لم تجلدنى ؟ و بينك كتاب الله ، فقال عمر : و أى كتاب الله تجد أن لا أجلدك ؟ قال إن الله يقول فى كتابه : (ليس على الذين آمنوا) إلى آخر الآية ، فانا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، ثم اتقوا و آمنوا ، ثم اتقوا و أحسنوا ، شهدت مع رسول الله ﷺ ، بدراً ، و أحداً ، و الخندق و المشاهد ، فقال عمر : ألا تردون عليه قوله ؟ فقال ابن عباس : إن هؤلاء الآيات أنزلت عذراً للماضين ، و حجة على الباقين فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر ، و حجة على الباقين ، لأن الله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر » (٢) ثم قرأ إلى الآية الأخرى (٣) فان كان من الذين آمنو و عملوا الصالحات ، ثم

(١) سورة المائدة : الآية ٩٣ . (٢) سورة المائدة : الآية ٩١ .

(٣) انظر : الموافقات للامام الشاطبى ج ٣ ص ٣٤٩ ، طبعة دار المعرفة بيروت .

اتقوا و أحسنوا، فان الله قد نهى أن يشرب الخمر، قال عمر: صدقت، الحديث (١) و قد أورد هذا الحديث شيخ الاسلام — رحمه الله تعالى — (٢) و الأمثلة على هذا كثيرة (٣).

إن ما يقع فيه بعض الشباب المسلم اليوم، وهو أنهم إذا رأوا مسلماً ارتكب معصية كبيرة أو صغيرة فيلزمه التوبة فوراً و إلا صار كافراً، و استدلوا على حكمهم هذا بقول الله جل شأنه: « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً) (٤) ولو لم يرد فى هذا الموضوع من القرآن و السنة إلا هذا النص فقط، لكان الحكم كما ذهبوا إليه، ولكن الله تعالى يقول عقب الآية مباشرة: « و ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال: إنى تبت الآن و لا الذين يموتون وهم كفار » (٥).

و مما تجدر الاشارة إليه هنا هو أن آيات القرآن يجب أن تفهم فى سياقها كما قال أهل العلم، فاذا جمعنا الآيتين يكون معنى « قريب » أى يتوبون سريعاً قبل مفاجأة الموت (٦) ثم قال تعالى: « و ليست التوبة للذين يعملون السيئات » الآية، أى وليس قبول التوبة ممن ارتكب المعاصى و استمر عليها حتى إذا فاجأه

(١) انظر: المصدر السابق ٣٤٩/٢، و فجر الاسلام: لأحمد أمين ص ٢٤٣، ٢٤٤، دار الكتاب العربى، طبعة بيروت، العاشرة، سنة ١٩٦٩م.

(٢) انظر: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج ٢٠ ص ٩٢.

(٣) انظر: مثلا، صحيح البخارى ج ٨ ص ٢٠٢ و مسلم ج ٤ ص ١٣١٢، و مسند الامام أحمد ج ١ ص ٢٢٧، و الترمذى ج ٤ ص ٩٦، و النسائى برقم ١١٤٨.

(٤) سورة النساء: الآية ١٧. (٥) سورة النساء: الآية ١٨.

(٦) صفوة التفاسير ج ١ ص ٢٦٦، محمد على الصابونى، طبعة الشئون الدينية بقطر، طبعة ثالثة، سنة ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.

الموت تاب و أناب، فهذه توبة المضطر وهى غير مقبولة (١).

يقول شهيد الاسلام سيد قطب (٢) « فهذه توبة المضطر لجت به الغواية و أحاطت به الخطيئة، توبة الذى يتوب لأنه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب ولا فسحة لمقارفة الخطيئة، و هذه لا يقبلها الله لأنها لا تنشئ صلاحا فى القلب ولا صلاحا فى الحياة ولا تدل على تبدل فى الطبع ولا فى الاتجاه ».

و مما يزيد معنى الآية وضوحاً ما جاء فى السنة المشرفة قال — ﷺ — « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره و قد أضله فى أرض فلاة » متفق عليه (٣) و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » رواه مسلم (٤) وقال ﷺ: « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » (٥) رواه الترمذى و قال: حديث حسن (٦).

و نجد صنفا آخر من الشباب يتوقف عن وصف الشعب بالاسلام أو الكفر، و حجتهم فى ذلك أن التوقف مارسه المسلمون، ففى حروب الردة كان الجيش

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازى ج ٩ ص ٢٣٥.

(٢) انظر: فى ظلال القرآن لسيد قطب عند تفسير هذه الآية.

(٣) البخارى ٩١/١١، ٩٢، و مسلم برقم (٢٧٤٧) و فتح البارى ٩٢/١١.

(٤) رواه مسلم برقم (٢٧٠٣) قال القرطبى: هذا الحديث أجرى مجرى المثل الذى يفهم منه قبول التوبة و استدامة اللطف و الرحمة، وهو تنزل عن مقتضى الغنى القوى القاهر إلى مقتضى اللطيف الرؤوف الغافر.

(٥) أى: ما لم تبلغ روحه حلقومه، فيكون بمنزلة الشئ الذى يتغرغر به المريض.

(٦) سنن الترمذى برقم (٣٥٣٧) و أخرجه أحمد (٦١٦٠) و (٦٤٠٠) و ابن ماجه برقم (٤٢٥٣) و صححه ابن حبان برقم (٢٤٤٩) و الحاكم فى المستدرك ٢٥٧/٤.

الاسلامى إذا تقدم يتوقف فلا يحارب حتى يسمع الأذان ، فان سمع فهؤلاء مسلمون لا يجوز قتالهم ، و إن لم يسمع الأذان حكم بردتهم و قاتلهم .

و قد لا يدرى هؤلاء الشباب أن أول من قال بهذا التصنيف هم المعتزلة حينما قالوا : إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ، و لكنه فى « منزلة بين المنزلتين » و قد تبنى القول بهذا الرأى بعض الشباب اليوم ، فهو إما نقل لأفكار المعتزلة ، أو اجتهاد أدى بأصحابه إلى التوافق ، ولما كان الاسلام صنف الناس إلى مؤمن و كافر ، فليس بمقدورنا ولا من حقنا أن نخرج عن هذا التصنيف .

و هذا الاقدام على مثل هذا التصنيف قد يصح عقلا و جدلا ، و لكن حين نبحث له عن دليل شرعى و سند موثوق فقد لا نجد ذلك ، فمن الأولى أن نتوقف عند حدود النصوص الشرعية ، ولا ننساق وراء عقولنا لتكون دليلا على الأحكام الخطيرة التى تتعلق بالسواد الأعظم من المسلمين و لنحذر أن نقول على الله ما لم نعلم .

و إنما وقع هؤلا الشباب فيما وقعوا فيه من خطأ من جراء غلوهم الذى جاء رد فعل لابتعاد كثير من المسلمين عن أحكام الاسلام ولا سيما الحكام ، وليس لهؤلاء الشباب أى مستمسك من دليل أو شبهة دليل بتأويل أو بدون تأويل ، سوى الغلو الذى لا علاقة له بأى دليل .

وقد يستند بعض هؤلاء الشباب إلى تأويل نص من نصوص القرآن أو السنة بطريقة لا تقرهم عليها قواعد اللغة العربية فى أى من المذاهب الواردة ، الضلالات و الشذوذات التى تدخل فى هذا الباب كثيرة جدا ، أكثرها يعود إلى العقائد و أصول الفكر الاسلامى ، و بعضها يعود إلى الفروع السلوكية (٢) . « يتبع »

(١) انظر : التكفير ، جذروره ، أسبابه ، مبرراته ، ص ٦٠ بتصرف .
(٢) السلفية ، مرحلة زمنية مباركة ، ص ١١٣ ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، طبعة أولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م .

الاستشهاد بالشعر الجاهلى فى تفسير القرآن العظيم

إعداد : الدكتور الحافظ احسان الحق
قسم اللغة العربية جامعة كراتشى

أشار الله سبحانه و تعالى فى عدة آيات من كتابه إلى أنه نزل بلغة العرب ، منها قوله عز وجل « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١) و منها « و هذا كتاب مصدق لساناً عربياً » (٢) و « لسان الذى يلحدون إليه أعجمى و هذا لسان عربى مبين » (٣) و هذا ما اراد الله سبحانه و تعالى لتحقيق سنته فى خلقه التى ذكرها فى قوله « و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » (٤) فيسر لنبيه القرآن بلسانه العربى الذى ينطق به فقال « فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين » (٥) و « نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » (٦) فيتضح من هذا أن فهم القرآن الكريم لا يكون إلا بمعرفة لغة العرب ، و لما كان الشعر الوعاء الذى استوعب هذه اللغة و حافظ عليها فقد كان ذلك أحد أسباب العناية بالشعر لتفسير ألفاظ القرآن الكريم و فهم معانيه فقال النبى ﷺ : « إن من الشعر حكما و إن من البيان لسحرا » (٧) .

كما عرف الصحابة رضوان الله عليهم قيمة الشعر فى تفسير القرآن فقال عمر رضى الله عنه « عليكم بديوانكم لا تضلوا — قالوا — و ما ديواننا ؟ قال شعر

(١) سورة يوسف الآية ٢ .
(٢) سورة الأحقاف الآية ١٢ .
(٣) سورة النحل الآية ١٠٢ .
(٤) سورة ابرهيم الآية ٣ .
(٥) سورة مريم الآية ٩٧ .
(٦) الشعراء — ١٩٣ — ١٩٥ .
(٧) أسد الغابة — ٢ : ٢٩ فى ترجمة حضرمى بن عامر الاسلامى .

الجاهلية ، فان فيه تفسير كتابكم و معانى كلامكم » (١) ولم يكن ابن عباس أقل حرصاً من عمر بن الخطاب على دعوة الناس إلى الاهتمام بالشعر وحثهم على تعلمه و العناية به فقد قال عنه عبد الله مسعود رضى الله عنه « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » وهو يصف الشعر بأنه عربى و أنه ديوان العرب (٢) فروى عن سعيد بن عباس أنه قال « إذا تعاجم شئ من القرآن فانظروا فى الشعر فان الشعر عربى » (٣) و روى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : « إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوها فى الشعر فانه ديوان العرب » (٤) و عن عكرمة أيضاً أن ابن عباس كان يقول : « إذا أعيتكم العربية فى القرآن فالتمسوها فى الشعر فانه ديوان العرب » (٥) و قال فى قول آخر « الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى عليهم الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك منه » (٥) .

و لذلك كان ابن عباس يعرف بكثرة استشهاده بالشعر لتفسير القرآن الكريم حتى إنه لا يكاد يسأل عن الشئ من القرآن إلا أتى ببيت من الشعر عليه ، و أوضح مثال على ذلك ما جاء فى مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس عن مئتى كلمة من القرآن و استشهاد ابن عباس على كل جواب ببيت من الشعر .

و قد ذكر ابن الأنبارى الخبر بتمامه فقال دخل نافع بن الأزرق إلى المسجد الحرام فاذا ابن عباس جالساً على حوض من حياض السقاية قد دلى رجليه فى الماء و إذا الناس قيام عليه يسألونه عن التفسير فاذا هو لا يحبسهم بتفسيره ،

(١) مصادر الشعر الجاهلى و قيمتها التاريخية : ناصر الدين الأسد ، القاهرة ص ١٥٢ .
(٢) تفسير الطبرى : ١ ٩٠ (المقدمة) .
(٣) تفسير الطبرى : ١٧ : ١٤٣ .
(٤) تفسير القرطبي ١ : ٢٤ .
(٥) شرح الحماسة للتبريزى ـ ١ : ٣ .
(٦) الاتقان فى علوم القرآن ـ ١ : ١٥٧ .

فقال نافع تالله ما رأيت رجلا أجرأ على ما تأتى به منك يا ابن عباس ، فقال له ابن عباس : ثكلتك أمك ، أولا أدلك على من هو أجرأ منى ؟ قال : و من هو ؟ قال : رجل تكلم بغير علم أو كتم علماً عنده ، فقال نافع : يا ابن عباس إنى أريد أن أسالك عن أشياء فأخبرنى بها ، قال : سل عما شئت ، قال : أخبرنى عن قول الله تعالى « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » (البقرة) قال : الخيط : الأبيض ضوء النهار و الخيط الأسود سواد الليل ، قال : فهل كانت العرب تعرف ذلك قبل أن ينزل القرآن ؟ قال أمية بن أبى الصلت :

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق و الخيط الأسود لون الليل مكموم

قال : فأخبرنى عن قول الله تعالى : « لا تأخذه سنة ولا نوم » ما السنة ؟ قال النعاس ، قال زهير ابن أبى سلمى :

لا سنة فى طوال الدهر تأخذه ولا ينام ولا فى أمره فند (١)

ومهما يكن الشأن فى صحة هذا الخبر فان الذى يعنينا منه دلالته على ما نريد أن نستدل به .

و روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال على المنبر ، ما تقولون فيها ؟ يعنى بذلك قوله تعالى « أو يأخذهم على تخوف » فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا ، التخوف ؟ التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته :

تخوف الرحل منها تامكا قرداً كما تخوف عود النبعة السفن (٢)

و كذلك كان عبد الله بن مسعود يعتنى بالعربية و الشعر ، فمن ذلك ما رواه عاصم بن عمر قال : « كان زر بن حبيش أعرب الناس و كان عبد الله يسأله عن العربية » (٣) .

(١) أيضاح الوقف و الابتداء : ابن الأنبارى ، دمشق ص ٧٦ - ٧٨ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلى و قيمتها التاريخية : ١٥٢ .
(٣) الطبقات الكبرى : ابن سعد ، بيروت ٦ : ١٠٥ .

و يؤكد ابن فارس العالم اللغوى الشهير قيمة الشعر فى تفسير القرآن، فيقول:

« و الشعر ديوان العرب . . . . . وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه » (١) .

و اتخذ هذه الطريقة نفسها أصحاب السير، منهم ابن هشام فهو يذكر فى مواضع كثيرة من كتابه تفسيره للغريب من القرآن مستشهدا على ذلك بأبيات من الشعر فنها على سبيل المثال، قال ابن هشام: « أيان مرساها ؟ متى مرساها يعنى بذلك « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى » النازعات: ٤١ .

قال قيس ابن الحدادية الخزاعى:

فجئت و مخفى السر بينى و بينها لأسألها أيان من سار راجع ؟ (٢)

و كذلك جاء عن السيوطى عنايته بحفظ أشعار العرب، مبيناً قيمة هذا الحفظ فى تفسير القرآن و ذلك قوله: « و ليعتن بحفظ أشعار العرب فان فيه حكماً و مواعظ و آداباً، وبه يستعان على تفسير القرآن و الحديث » (٣) غير أن السيوطى اشترط فى ناقل اللغة أن يكون عدلا فقال: « و قال الكمال بن الأنبارى فى لمع الأدلة فى أصول النحو: يشترط أن يكون ناقل اللغة عدلا، رجلا كان أو امرأة حراً كان أو عبداً . . لأن بها معرفة تفسيره و تأويله - - - - فان كان ناقل اللغة فاسقاً لم يقبل نقله » (٤) و اتضح من ذلك أن الذى يفسر القرآن لا بد أن يكون عالماً بلغة العرب، وهو شرط أساسى لا غنى للمفسر عنه قال يحيى بن نضلة المدينى سمعت مالك بن أنس يقول: لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا » (٥) .

(١) الثعالبى فى فقه اللغة، وسنن العرب فى كلامها: ابن فارس. بيروت ٢٧٥ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ (دار إحياء التراث العربى، بيروت) .
(٣) المزهر فى علوم اللغة و أنواعها: السيوطى، القاهرة ص ٢ : ٣٠٩ .
(٤) نفس المرجع: ١ : ١٣٨ .
(٥) البرهان فى علوم القرآن: الزركشى. القاهرة ص ١ : ٢٨٢ .

« وقد أنكر جماعة على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر بأن الشعراء قد ذموا فى القرآن و أنهم بهذا الاحتجاج جعلوا الشعر أصلا للقرآن و ليس الأمر كما زعم هؤلاء النفر، لأن النحويين إنما أرادوا أن يفسروا الحرف الغريب من القرآن بالشعر، و أما أحوال الشعراء بانهم قد ذموا فى كتاب الله فذلك لأجل مغالاتهم و إفراطهم فى المديح و الهجاء، و مجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة، وأشحهم على حاتم، و يبهتوا البريئ و يفسقوا التقى، و ربما رفعوا شخصاً إلى الأوج ثم إذا غضبوا عليه أنزلوه إلى الحضيض، و هذا مشاهد ملموس فى أكثر الشعراء إلا من استثناهم الله عز و جل، وبهذا لا يلزم عيب العلماء فى استشهادهم بشعر امرئ القيس و أشعار أهل الجاهلية فى تفسير القرآن، و فى غريبه و غريب الحديث .

فمن المفسرين البارزين الذين عنوا بلغة العرب و شعرهم فى تفسير القرآن الامام محمد بن جرير الطبرى، فتفسيره حافل بالأشعار و الأرجاز اعتمد عليها اعتماداً كبيراً فى تفسير ما أشكل عليه من ألفاظ القرآن الكريم و توضيح معانيه فى مواضع كثيرة، ونجد ابن عساكر يصرح بأن الطبرى كان يعلم العربية، وأنه يتقن رواية شعر الجاهلية و الاسلام، فقال: « فابتدأ بعد ما أحكم ما أمكنه إحكامه من علوم القرآن والعربية والنحو ورواية شعر الجاهلية والاسلام » (١) وشهد على ذلك ياقوت الحموى مشيداً بقدرته فقال: « و قد بان فضله فى علم اللغة و النحو على ما ذكره فى كتاب التفسير و كتاب التهذيب مخبراً عن حاله فيه و كان يحفظ من الشعر للجاهلية والاسلام ما لا يجهله إلا جاهل به » (٢) فالامام يستشهد فى تفسيره جامع البيان فى تأويل آى من القرآن بالشعر الجاهلى بشكل واسع، فمثلا فى تفسيره لقوله تعالى: « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » يقول الامام: « و أصل المرض السقم، ثم يقال ذلك فى الأجساد والأديان

(١) تاريخ ابن العساكر المخطوط: ١٥ : ٨٦ .
(٢) معجم الأدباء: ١٨ : ٦٠ .

فأخبر الله جل ثناؤه : إن فى قلوب المنافقين مرضاً ، و إنما عنى تبارك و تعالى بخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما فى قلوبهم من الاعتقاد ، و لكن لما كان معلوما بالخبر عن مرض القلب أنه معنى به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد ، استغنى بالخبر عن القلب بذلك ، و الكناية عن تصريح الخبر عن ضمائرهم و اعتقادهم كما قال عمر بن لجا :

و سبحت المدينة لا تلمها رأت قمراً بسوقهم نهارا

يريد و سبح أهل المدينة ، فاستغنى بمعرفة السامعين خبره ، بالخبر عن المدينة عن الخبر عن أهلها و مثله قول عنترة العبسى :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمى

يريد هلا سألت يا أصحاب الخيل ؟ و منه قوله : يا خيل الله اركبى ، يراد يا أصحاب خيل الله اركبوا» (١) أو مثلا عند تفسيره لقوله تعالى « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » يقول بما نصه : « قال أبو جعفر ، والأنداد جمع ند والند العدل و المثل كما قال حسان بن ثابت :

أتهجوه ، و لست له بند فشركما لخيركما الفـــداء

يعنى بقوله و لست له بند ، لست له بمثل ولا عدل ، و كل شىء كان نظيراً لشىء أو شبيهاً فهو له ند (٢) .

و قد سار على هذا المنهج المفسرون الآخرون عبر العصور المختلفة فى تاريخنا ، نكتفى على تقديم بضع أمثلة للاستشهاد بالشعر العربى فى تفسير الألفاظ من التفاسير المشهورة :

فى سدر مخضود (الواقعة : ٢٧) مخضود ، خضد شوكه أى قطع ، خضد الله شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، قال أمية بن أبى الصلت :

إن الحدائق فى الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود (٣)

(١) جامع البيان فى تأويل آى القرآن : محمد بن جرير الطبرى ١ : ١٢٥
(٢) المصدر السابق : ١٦٣ ج ١ (٣) البحر المحيط : ٢٠١ ج ٨ .

فلا أقسم بمواقع النجوم : اللام لتأكيد الكلام و تقويته ، و زيادة لا كثير فى كلام العرب و مشهور ، قال الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة وكاد نياط القلب لا يتقطع (١)

« و أعطى قليلا و أكدى » : (النجم : ٣٣)

أكدى ، قطع العطاء ، مأخوذ من الكدية ، يقال لمن حفر بئرا ثم وجد صخرة تمنعه من إتمام الحفر ، قد أكدى ، ثم استعمله العرب لمن أعطى ولم يتم ، و لمن طلب شيئا فلم يبلغ آخره ، قال الحطيئة :

فاعطى قليلا ثم أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف فى الناس يحمد (٢)

« أزفت الآزفة : أى دنت الساعة و اقتربت القيامة ، سميت آزفة لدنوها وقرب قيامها ، أزفت أى قربت ، قال كعب بن زهير :

بان الشباب و هذا الشيب قد أزفا و لا أرى لشباب بائن خلفا (٣)

« بلى قادرين على أن نسوى بنانه » (القيامة : ٣)

« البنان أطراف الأصابع أو الأصابع نفسها جمع بنانة ، قال النابغة :

بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد (٤)

« و ثيابك فطهر » (المدثر : ٣) .

« قال ابن زيد : المشركون لا يتطهرون ، فأمر الله أن يتطهر و أن يطهر ثيابه ، وقال ابن عباس : كنى بالثياب عن القلب ، والمعنى ، وقلبك فطهر من الاثم و المعاصى ، و استشهد بقول غيلان :

و إنى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست و لا من غدره أتقنع

فيقال عند العرب ، المجد فى ثوبه ، و العفة فى إزاره (٥) » .

« فرت من قسورة » (المدثر : ٥٠) .

(١) القرطبى : ١٧ : ٢٢٣ . (٢) البحر المحيط : ٨ : ١٥٥ .
(٣) نفس المصدر . (٤) القرطبى : ١٩ : ٩٢ .
(٥) التفسير الكبير : ٣٠ : ١٩٢ .

قسورة ، أسد - من القسر و هو القهر ، سمى بذلك لأنه يقهر السباع ، و قيل هو جماعة الرماة الذين يتصيدون ، قال الأزهرى : هو اسم جمع للرماة لا واحد له من جنسه ، قال لبيد :

إذا ما هتفنا هتفة فى ندينا أتانا الرجال الصائدون القساور (١)

« يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة » (النازعات : ٩)

« الحافرة ، الرجوع إلى الحالة كان عليها ، يقال ، رجع فلان فى حافرته أى رجع من حيث جاء :

قال ابن الأعرابى :

أحافرة على صلح و شيب معاذ الله من سفه وعار (٢)

« و نمارق مصفوفة » (الغاشية : ٤١١) .

نمارق وسائد و مرافق يتكأ عليها ، جمع نمرقة ، قال زهير :

كهولا و شبانا حسانا وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق (٣)

« فى جيدها حبل من مسد » جيدها أى عنقها ، قال امرؤ القيس :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش (٤) .

« و من شر النفاثات فى العقد » النفث : شبه النفخ دون تفل بالريق ، فاذا كان معه ريق فهو التفل ، قال عنترة :

فان يبرأ فلم انفث عليه و أن يفقد فحق له الفقود (٥)

و هناك أمثلة كثيرة تدل على عناية المفسرين بلغة العرب - و الشعر العربى الجاهلى لتفسير ألفاظ كلام الله ، و كان ابن عباس هو المبتدىء بهذا المنهج ، فتبعه المفسرون ، و ساروا على نهجه ، و حذوا حذوه .

و الله هو الموفق و هو المستعان .

---

(١) البحر المحيط : ٨ : ٣٦٩ . (٢) البحر المحيط : ٨ : ٤١٨ .
(٣) روح المعانى : ٣٠ : ١١٥ . (٤) القرطبى : ٢٠ : ٢٤١ .
(٥) نفس المصدر : ٢٠ : ٢٥٧ .

تشريع النفقة فى الاسلام

بقلم : فضيلة الشيخ القاضى مجاهد الاسلام القاسمى
مدير مجلة « بحث و نظر » بالأردية
تعريب : محمد رحمة الله المظفرفورى

السكنى : و تدبير السكنى (Residence) كذلك يعمه اسم النفقة .

يقول الله تعالى : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » (الطلاق : ٥) .

وقد أمر الله جل وعلا بحسن العشرة مع النساء ، و كذلك التشريع فانه يتقاضى أن تتمتع المرأة بظل السقف ، لكى تصون نفسها و عرضها و متاعها ، ولا يشترط أن يكون البيت الذى يسلم إليها ملكا للزوج بل يجوز أن يكون مستأجراً أو مستعاراً .

يقول العلامة ابن الهمام الحنفى رحمه الله : « و السكنى بالملك أو الاجارة أو العارية واجبة إجماعاً » .

(فتح القدير مع الكفاية ٣/٢٠٧ طبع فى المكتبة الرشيدية كوئته باكستان) .

و تعيين مستوى تسهيلات السكنى سيتم بالنظر إلى أحوال الزوجين و الحالة الاقتصادية للزوج مع رعاية الأمور الآتية :

أ : أن لا تكره المرأة على السكونة مع ضرتها أو أحماء الزوج الآخرين ، و ذلك لأن كل امرأة تستقل فى حق سكناها (Sepret — Residence) .

ولا يعزبن عن البال أن البيت قد يشتمل على غرفة واحدة فحسب ، وحيناً آخر يحتوى على غرف عديدة ، فعلى وجه العموم نرى أن الزوجة لها الحق فى مطالبة غرفة مستقلة تتصرف فيها باغلاقها و صيانة أمتعتها و تخلو فيها بنفسها متى شاءت .

أما إذا كانت الدار تشتمل على غرف عديدة تسكن فى واحدة منها الزوجة ،

و الغرف الأخرى يسكن فيها أهل الزوج و أقاربه الآخرون فلا بأس به فى الظروف العامة، لاسيما إذا لم تكن مرافق البيت والتسهيلات الأخرى (Other Facilities) مشتركة ، ذلك أن تكون الحمام و التنور و الكنيف مستقلة .

فاذا كانت هذه المرافق و الأدوات مشتركة فانها لا تطالب ببيت مستقل إلا أن تتضرر من أقارب الزوج ، الذين يسكنون فى تلك الدار ، فاذا كان كذلك فانها سوف تستحق أن تطالب بدار مستقلة فضلا عن البيت ، و تفرع على هذه المسألة صورة أخرى وهى أن الناس و الصناع — خاصة — الذين يتعودون السكن فى الحجرات و الخانات فى مختلف البلاد الهندية مثل بومبائى و كلكتا و غيرها — و تكون ثمة غرف عديدة فى دار واحدة ، و مرافق الدار — من الخلاء و المغتسل و التنور — تكون على وجه الاشتراك فى بعض الأحيان، وتسكن الأسر الأجانب فى بيوت تلك الدار ، حتى يكون الباب الرئيسى واحداً ، يمر به كل من يسكن فيها ، فان تحمل الزوجان هذه الحالة و رضيا بها فيها و نعمت ، و لكن الزوجة إذا امتنعت عن السكن فيها فماذا سيكون الحكم ؟ .

وقد أجاد الكلام فى هذا الموضوع العلامة ابن عابدين الشامى رحمه الله فيقول : « والحاصل أن المشهور وهو المتبادر من إطلاق المتون أنه يكفيها بيت له غلق من دار ، سواء كان فى الدار ضرتها أو أحماؤها ، و على ما فهمه فى البحر من عبارة الخانية ، و ارتضاه المصنف فى شرحه لا يكفى ذلك إذا كان فى الدار أحد من أحمائها يؤذيها ، وكذا الضرة بالأولى ، و على ما نقلنا عن ملتقط أبى القاسم ، و تجنيسه للاستروشينى أن ذلك يختلف باختلاف الناس، فى الشريفة ذات اليسار لا بد من إفرادها فى دار ، و متوسط الحال يكفيها بيت واحد من دار ، و مفهومه أن من كانت من ذوات الاعسار يكفيها بيت ولو مع أحمائها و ضرتها ،

كأكثر الأعراب و أهل القرى و فقراء المدن الذين يسكنون فى الأحواش و الربوع ، و هذا التفصيل هو الموافق ، لما مر من أن السكنى يعتبر بقدر حالهما ، و لقوله تعالى : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » ، و ينبغى اعتماده فى زماننا هذا ، فقد مر أن الطعام و الكسوة يختلفان باختلاف الزمان و المكان ، و أهل بلادنا الشامية لا يسكنون فى بيت من دار مشتملة على أجانب ، و هذا فى أوساطهم فضلا عن أشرافهم ، إلا أن تكون داراً موروثة بين إخوة مثلا ، فيسكن كل منهم فى جهة منها مع الاشتراك فى مرافقها (من الخلاء و المطبخ و الماء) و يعدون سكونة الأجانب فى بيت واحد من دار واحدة من أعظم العار عليهم ، فينبغى الافتاء بلزوم دار من بابها ، و لا تطالب بدار كبيرة كما فى أهلها » .

(رد المحتار على الدر المختار المجلد الثالث ص : ٦٠٣ طبع دار الفكر عام ١٩٧٩ و طحطاوى على الدرر ٢٦٧/٢) .

و الخلاصة أنه لابد من رعاية الأعراف تجاه مستويات السكن و بالنظر إلى أحوال الفريقين ، و كذلك تلزم رعاية الأصول الآتية فى باب السكنى .

١— أن تهيأ للسكن دار تقوم فيها الزوجة — أو من تلزم عليه نفقته — بأداء مصالحه الدينية و الدنيوية بغاية من الحسن و الكمال .

٢— أن تستوطن حياً أو قرية تتمتع فيها بجيران صالحين ، و تحصل على صيانة كاملة من كل ظلم وعنف للأعراض و الأرواح ، و ليعلم أنها لو شكت إلى القاضى الايذاء و الاضرار من الزوج و طالبت بمكان مصون يمكن فيه المنع عن اعتداء الزوج و النظر إلى موقفه منها بالاستغاثة من أهل القرية فينبغى للقاضى أن يحكم بذاك .

يقول العلامة ابن نجيم : قالوا : للزوج أن يسكنها حيث أحب ، ولكن بين جيران صالحين ، ولو قالت : أنه يضربنى و يؤذينى فمره أن يسكننى بين قوم صالحين ، فان علم القاضى ذلك زجره و منعه عن التعدى فى حقها ، وإلا يسأل الجيران عن صنعيته فان صدقوها منعه عن التعدى فى حقها ، و لا يتركها ثمة ، و إن لم يكن فى جوارها من يوثق بها ، أو كانو يميلون إلى الزوج أمره باسكانها بين قوم صالحين » .

(البحر الرائق شرح كنز الدقائق ٤/ ٢١١ الطبعة الأولى بالمطبعة العلمية بمصر) .

٣— أن تجهز للسكونة دار لا تكون عورة مكشوفة ، و إن كانت الدار بحيث يسكن فيها عديد من أفراد الأسرة فى جوانبها المختلفة ، فلابد أن يكون المبيت من حيث أن لا ينظر إليه أحد من الخارج ، ويتسير فيه التخلى وقت الضرورة .

يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم و الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة و من بعد صلاة العشاء » . (سورة النور : الآية ٥٨) .

« مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال : يا رسول الله ! استأذن على أمى فقال : نعم ، فقال الرجل إنى معها فى البيت فقال الرسول ﷺ استأذن عليها فقال الرجل إنى خادمها ، فقال الرسول ﷺ استأذن عليها أتحب أن تراها عريانة قال : لا ، قال فاستأذن عليها » .

(مؤطا الامام مالك رحمه الله باب الاستئذان ص ٢٨٠) .

٤— لابد من تنظيم المرافق الضرورية ولوازم الحياة من الخلاء و الماء وغيره .

٥— و إن كانت الدار بحيث تنفرد فيها المرأة و يخاف أن هذه الخلوة تسبب إصابتها بالمرض النفسى (العقلى) فلابد من تدبير امرأة تؤنسها وتزيل وحشتها .

الأثاث و الأمتعة الأخرى :

و لابد من تجهيز حاجيات البيت و الأثاث الضرورى نظراً إلى اختلاف مستويات السكن لكل عصر و مصر و رعاية للأعراف و العادات ، و ذلك أن يهيأ الفراش و الملحفة و الأردية و النمارق و الحصير و جميع أدوات التنور ، وكل ذلك بالرعاية لاختلاف الفصول من الحر والبرد قدر ما يستطيعه الزوج .

الخادم و الخدمة :

إن كان الزوج مؤسراً فعليه تدبير خادم يقوم بتجهيز ضرورات الخارج — من إعداد الماء و الوقود و اشتراء الحوائج الأخرى ، و إن كان معسراً فعليه أن يؤدى هذه الوظائف بنفسه ، و إن كانت المرأة بحيث لا تستطيع أن تقوم بأمور الداخل — من طبخ الطعام و غسل الثياب و غيرها — بنفسها ، فان تدبير خادمة يلزم على الزوج ، و كفالة الخادم و الخادمة و نفقتهما تعود إلى الزوج و هو مسئول عنها .

(يراجع للتفصيل الدر المختار والرد المحتار ٣/٥٧٩ طبع دار الفكر ١٩٧٩م) .

و كذا إذا مرضت المرأة و ليس فى البيت من يقوم بتمريضها و خدمتها فعلى الزوج تدبير ممرضة .

قال فى الشامى : « إذا مرضت وجب عليها إخدامها ، و لو كانت أمة و به صرح الشافعية و هو مقتضى قواعد مذهبنا . . . . . بخلاف المريضة إذا لم تجد من يمرضها ، فيكون من تمام الكفاية الواجبة على الزوج » (رد المحتار ٣/ ٥٨٨) .

و إن كثرت الأولاد ولا يكفى خادم لتدبير أمور البيت و رعاية الأطفال و تربيتهم فعلى الزوج المؤسر تدبير خدمة آخرين .

المرض و المعالجة :

فان مرضت الزوجة ، فمن يؤدى مؤنة علاجها ؟ (من أجور الطبيب و قيمة الأدوية و أجرة الفحص و التفتيش) فان الفقهاء لا يلزمون مثل هذه النفقات على الزوج عامة ، هنالك وجهتان للاستدلال فى هذا الباب .

الأولى : أن صيانة الأصل لا تلزم على من يملك الانتفاع البحت ، فكما أن إصلاح الدار هو وظيفة رب الدار لا المستأجر و المستعير كذلك هنا .

الثانية : أن المداواة و المعالجة تباح على أكثر التقدير و الحد الأقصى ، و الشىء المباح المحض كيف يلزم على الزوج .

اعتقد أن آراء الفقهاء هذه تبتنى على أعراف عصورهم ، و نظراً لعلاقات الزواجية بنظر التجارة البحتة (Comercial Aproch) ليس بصحيح ، و الدواء والعلاج فى زماننا هذا ليس من الأمور المباحة فحسب بل إنه يحل محل الضرورة و الحاجة الماسة ، لأنه لم يعد الانسان اليوم على المستوى الصحى القديم ، ولا تسع القوى البشرية أن تتعمل مشكلات المرض وهجماته ، ولا أن يكونوا أصحاء فطرياً نظراً إلى الظروف ، وهناك أمراض إذا لم يجد العلاج طريقاً نحوها لغلب الظن بالموت ، و الطعام الشهى اللذيذ و الكسوة الرائعة الخلابة الثمينة المزخرفة لا تغنى شيئاً إذا كانت الزوجة مصابة بمرض عضال و أى مهزلة أخطر من أن تمنح المرأة نفقتها من الطعام و السكنى دون أن يوفر لها علاج لذلك الداء العضال .

و قد دل الكتاب و السنة على النفقة و السكنى ، و تعريف النفقة للامام ابن الهمام رحمه الله الذى سبق و هو « فى الشرع الادرار على الشىء بما فيه بقاؤه » .

فمن الذى يدعى اليوم أن الطعام ينتج بقاء الانسان و لا حاجة إلى الدواء و العلاج لتحقيق هذا الغرض ، فنى اعتقادى أن النفقة التى أمر بها الله جل وعلا تعم جميع الأشياء التى يضمر فيها بقاء حياة المرأة ، و ماعده الفقهاء المتقدمون — من الطعام و الكسوة و السكن — فى النفقة فان ذلك على وجه التمثيل ، أو هو ذكر الأهم و الأشهر منها ، لا أن يحصر و يحدد فيه نطاق النفقة من غير أن يشمله شىء آخر .

وقد أمر الله جل وعلا بالعشرة الحسنة ، و ليس من مقتضياتها أن يعطى المرأة طعاماً و الحاجيات الأخرى و تترك مضطربة قلقة مبتلية فى مرضها و لا تداوى .

يقول الله تعالى : « و لا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا و من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (النساء : ١٩) ، وقال تعالى : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم و لا تضاروهن لتضيقوا عليهن » (الطلاق : ٥) ، و فى كلتا الآيتين مؤشرة واضحة أن لا تعامل المرأة معاملة تشعر بها ضرراً ، و لا تضيق عليها ، و لذا فان الامام الأعظم أبا حنيفة رضى الله عنه استدل على وجوب النفقة مع السكنى بالآية المذكورة ، و ما يكون أضر إذا كانت تتمتع بالسكنى و لا يكون لديها طعام و لا كسوة .

فاعتقد أن عدم معالجة المرض ضرر شديد ينبغى أن يزال ، وآخر الكلام المهم أن يتكون تعيين النفقة فى ضوء الأعراف ، و من المعلوم أن الأدوية و تدابير حفظ الصحة فى عرف زماننا تعد من ضرورات الانسان الأساسية ، و المجتمع بكامله يتصور مداواة الزوجة و القيام بعلاجها وظيفة الزوج المهمة ، و ليس هذا العرف مما يعارض النص و يصادمه ، بل ينسجم و يطابق الحكم

المنصوص عليه ، و هو الأمر بحسن العشرة و الاحتراز من الاضرار و الايذاء و الاجتناب عنه ، فالنفقة فى هذه الظروف يشمل نفقات الدواء و العلاج أيضاً لذلك فان المرأة لو مرضت سوف يقوم الزوج بتدبير علاجها قدر المستطاع .

الواقع أن مستويات العلاج مختلفة ، و القول المبرم فى هذا هو الأخذ بالقصد فى جميع النفقات .

مؤنة التوليد :

مما لا نقاش فيه أن المرأة تحتاج إلى رعاية حملها حين تكون حاملة مع مراعاة العلاج وقت الولادة و بعدها إلى مدة ، و ربما تحتاج إلى العناية الطبية و رعايتها (Medical Care) و كل هذه التكاليف و المصاريف يتحملها الزوج قدر وسعه بالمستوى المتوسط .

يقول العلامة ابن نجيم الحنفى : « و أجرة القابلة على من يستأجرها من الزوجين ، و لو جاءت بنفسها فهناك رأيان ، أن تجب على الزوج و ذلك لأنه نتيجة للجماع ، و نفقة متعلقة به ، أو على الزوجة لأنها نوع من المرض » ، (انظر للتفصيل البحر الرائق ٢١٣/٤ المطبعة العلمية بمصر) .

وظاهر أن حياة المرأة نفسها وحياة الولد تكونان على شرف الخطر خلال الولادة ، و لا شك فى أن الزوج مسئول عن نفقة علاج أولاده ، و كما تقدم أن معالجة المرأة كذلك من وظيفة الزوج ، فأى امرئ استحضر الطبيب أوطلب الممرضة أو القابلة للرعاية الطبية تعود نفقتها إلى الزوج نظراً للعرف .

فقد قال العلامة الشامى رحمه الله : « لأن الولد ينتفع بالقابلة على الغالب فينبغى أن تكون وظيفة أجرتها على الأب » .

« للحديث صلة »

معقوليـــة الشريعـــة الاسلاميـــة

والحاجة إلى اجراء عملية البحث والدراسة عليها

— ١ —

فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى
الأمين العام للأكاديمية الفرقانية - بنكلور (الهند)

هل القوانين الاسلامية قديمة بالية ؟

فى العصر الحاضر غلب على الأذهان أن الدين و الشريعة من أقاويل الغابرين أو أساطير الأولين ، يصعب كثيراً تطبيقها و العمل بها فى هذه الأيام ، وتعم هذه الفكرة فى أوساط المتنورين الذين يبدونها علنا فيمابينهم ، كما يقولون إن العلوم الحديثة قدشهدت تطوراً هائلا ، يترك كل شئ أمامه مبتذلا بالياً ، وقدانتهت مدة الاستفادة من الدين ، فيتطلب العصر المتقدم اقتناء كل حديث دون أى قديم ، و يدعو إلى ذلك غالباً الذين لا يعرفون عن حقيقـــة الدين و كنه الشريعة ، أو يحملون فى نفوسهم مفهوماً ضيقاً متكتما عن كليهما ، فيظنون بذلك أن الأحكام الالهية غير معقولة ، خارجة عن حد الاعتدال و الاتزان ، و كذلك غير متوافقة مقتضيات العصر الحديث ، أوهم يكونون ممن يضمر العداء والشحناء نحو الشريعة و القانون الاسلامى ، و يستنكفون منها و يشمئزون للعصبية المنتنة أو الأغراض السياسية الرخيصة ، فيهرعون إلى معارضتهما و نصب العداء لهما .

معين القوانين الاسلامية :

فالادعاء بأن القوانين الاسلامية و الأحكام الالهية غير معقولة و غير متزنة ، قول لا يسنده دليل ، و مصدره الجهل و البعد عن المعرفـــة بحكم الله وقانونه ، والحق أن القانون الاسلامى صالح للعمل وملائم لكل عصر وزمان ،

ولا تقل أهميته فى هذا العصر المتقدم منها فى العصر الاسلامى الأول قبل أربعة عشر قرناً ، و ليس ذلك نوعاً من حسن الظن أو الفنون اللطيفة ، و إنما هو الواقع الثابت المبنى على الأدلة ، و ذلك أن هذه الأحكام و الأصول الاسلامية منزلة من الله العزيز الحكيم الذى خلق هذا الكون و دبره ، وهو خبير يعلم كل ما دق و جل ، محيط بكل المستلزمات و المقتضيات لكل زمن و حقبة أزلا و أبداً ، فقد قال سبحانه و تعالى :

« حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم » سورة المؤمن : الآية ١-٢.

« و قال تعالى : « الر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » سورة هود : الآية ١ .

إن آيات القرآن الكريم و أحكامه ، يعنى عدم إمكانية تعرضها لأى خطر من الناحية العلمية مع تقدم العلوم الحديثة و تطور الفنون العصرية ، نتيجة صنع الله و إتقانه تعالى ، فلا يمكن أن تبلى ، كما لا يتحداها المنطق و الفلسفة معقوليتها و تفوقها ، بل لن تزال وافية كاملة على الشروط و المقاييس العلمية و العقلية لكل عصر ، فتكون أوامر الله و أحكامه تعالى هدى و رحمة للمؤمنين فى كل زمان و مكان ، و لا يؤثر مر الليالى و الأيام فى جدتها و نضارتها و بهائها ، قال عز من قائل :

« و لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى و رحمة لقوم يؤمنون » سورة الأعراف : الآية ٥٢ .

دلت الآية بفحواها على أن محتويات القرآن الحكيم و مضمناتها تبتنى على أصول العلم و الحكمة ، و هى النماذج البديعة الرائعة التى تتكشف من خلالها الحكمة الالهية الربانية و العلم الربانى ، و لا شك أن الاتيان بنظام للحياة لمآت

أو ألوف السنين بدعوى عدم بطلان أو بلى أحكامه و أوامره و بأنها دائماً سارية المفعول ، ليس فى وسع أى انسان كان ، ولا يطيقه أى بشر مهما كان ، و تاريخ العلوم الانسانية يخلو عن مثل هذه الدعاوى ، و كذلك لم يوجد قانون أو دستور إلى الحين قدر له الخلود و الدوام إلا القانون الالهى الكامل الشامل من كل جوانبه ، عديم النقص و التقصير ، مستغنياً عن الحاجة لقبول أى تغيير أو تبديل أو زيادة و تنقيص ، فانه لهو المثال الأول والأخير فى تاريخ الشرائع و المناهج ، ويتأكد بذلك إعجاز التوجيه الربانى و أسلوب هداية خلقه ، و تظهر معجزة الشريعة الاسلامية و القانون الاسلامى .

مظاهر العلم و الحكمة فى القانون الاسلامى :

كما أن القانون الاسلامى كامل غير منقوص (و المعنى أنه موضوع فى صورة الكليات إلى جانب مراعاة كل عصر وبذلك يتمتع بجامعية كاملة) كذلك أحكمت بنوده و حلقاته على الأسس العلمية و العقلية ، حتى يتمكن من مقاومة التيارات العقلية و الفلسفة الالحادية فى كل آونة ، فكلما و فى أى عصر يتناوله الانسان بالتمحيص و التجزئة و يحكم على محك العلم و العقل يبقى حائراً مدهوشاً شاخص الأبصار أمام حكمة الله البالغة و علمه المحيط و عظمته تعالى سبحانه ، و لذلك نجد فى كثير من الآيات التى وردت فيها القضايا و المسائل الشرعية ، التى تبحث عن الحدود و الأحكام الالهية. التأكيد للعلماء على النظر و التأمل فى تلك المناحى و الجوانب ، و اكتشاف حكمة الله و بيان عقلانيتها أمام الناس ، فيقول تبارك و تعالى فى سورة البقرة عقب بيان الأحكام العديدة فى المسائل المختلفة ، كالزواج و الطلاق و الخلع و العدة و ما إلى ذلك :

« و تلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » سورة البقرة : الآية ٢٣٠ .

فالمدلول الواضح من هذه الآية الكريمة أن العلماء يجب عليهم أن ينظروا فى تلك الأحكام و المسائل و يتأملوا فيها بنظرة دقيقة ، و يدركوا كنه الحكمة الالهية ، و يعرفوا التدقيق والتعميق فى التقنين الربانى و مدى معقوليته فى تلك

الأحكام ، حتى تظهر معجزة الشريعة الاسلامية و الدستور الأبدى الخالد المنزل من الله سبحانه ، و لما كان هذا العمل طريقة علمية و طبيعية لاثبات حقانية أى ديانة أو حركة ، أمكن أن نسلك ونتبع لاثبات صدق الاسلام وتفوقه وإحقاق الحق و ترسيخ جذوره فى أذهان الناس و عقولهم بالدرجة الأولى .

ونذكر فى هذا الصدد مزيداً من الآيات التى وردت أثر القضايا والأحكام المختلفة الشرعية ، تنبيهاً و تذكيراً ، فقال جل سبحانه :

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

وقال تعالى : « و نفصل الآيات لقوم يعلمون » سورة التوبة : الآية ١١ .

و قال العزيز الحكيم : « كذلك يبين الله لكم آياته و الله عليم حكيم » سورة النور : الآية ٥٩ .

فثبت بما ذكرناه آنفاً أن القوانين الاسلامية و الأحكام الشرعية مبنية على العقل السليم و مؤيدة بالحجج والأدلة ، لا يشوبها نوع من السفاهة أو السخافة ، و لا يتطرق إليهـا شئ من الرثاثة و البلى ، و لا يأتيها قليل من البرجوازية و التخلف ، فانها تنزيل من العليم الخبير ، فلا تتزعزع و لا تنهز ، و إنما هى محكمة مدعمة علماً و عقلا ، و كان هذا هو السبب فى لفت انتباه الناس إلى علمه و حكمته بصورة خاصة تذكيراً و تنويهاً ، بعد ذكر المسائل و الأحكام الشرعيـة فى أغلب الأحيان ، يقول العليم الحكيم :

« ثم يحكم الله آياته و الله عليم حكيم » سورة الحج : الآية ٥٢ .

التنديد باغفال العقل :

فى العالم ديانات ليس للعقل إليها سبيل ، بل يعـد التعقل فى عقيدتها إثماً وجريمة ، ويضطر أصحابها للعمل بما فيها صماً وعمياً ، و لو بدا من أحدهم شئ من الاحتجاج و الاعتراض ولو مرة ، يخرج من الدين بفتوى الالحاد و اللادينية ، و إن كان هناك دين يعطى حرية العلم و العقـل ، فهو الاسلام الذى لا يكتفى باعطاء حرية العلم و العقل فحسب ، و لكنه يندد فى شدة و عنف باهمال العقل

و بالتحجر و المعتقدات السخيفـة العمياء ، و يناشد الانسانية بالارعواء عن خنق الحقائق و استخـدام العقل ، حتى يقول : إن الذين لا يستخدمون العلم و العقل و يفضلون قواهم الفكرية ، يدخلون فى عداد الصم العمى ، فقال أحكم الحاكمين :

« صم بكم عمى فهم لا يعقلون » سورة البقرة : الآية ١٧١ .

بل اعتبرهم القرآن الكريم أسوأ و أشر من الدواب و الأنعام ، كما قال الله تعالى : « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » سورة الأنفال : الآية ٢٢ .

العقل فى الرؤية الاسلامية :

فمن هذه الوجهة كان الاسلام و العقل قرينين لازمين ، مثل رضيعى لبان واحد ، فلم يمكن لمز الاسلام و أحكامه و همزهما بالتحجر و التزمت ، و لا بالسخافـة و الهراء ، بل من المسلمات البديهية أن الاسلام بالغ فى التأكيد على استخدام العلم و العقل و النظر و التأمل و البحث و التمحيص ما لم يشاهد فى أى ديانة فى العالم ، فكما يؤكد على التفكير الدقيق فى مظاهر الكون وتدوين العلوم المستحدثة و المسائل المستجدة و القضايا العصرية و استخراج النتائج منها ، كذلك يتسرد فى الدعوة إلى التأمل و التحقيق و التعمق فى المسائل الدينيـة و الأحكام الشرعية الخاصة ، و بالتالى إلى البحث عن المصالح و الحكم المودعة فيها و تلمس المحاسن و الطرائف العقلية التى تزدان بها ، فاقرأوا معى الآيات التالية التى خصت بالذكر بعد سرد الأحكام الشرعية والمسائل الدينية المتنوعة فى صورة المشتقات من مادة « العقل » على وجه التنبيه و التوجيه بمتعدد الأساليب ، فقال جل جلاله :

« كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » سورة البقرة : الآية ٢٤٢ .

« قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

« ذلكم وصاكم به لعكم تعقلون » سورة الأنعام : الآية ١٥١ .

« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » سورة النور : الآية ٦٤ .

« قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » الحديد : الآية ١٧ . « يتبع »

دراسات و أبحاث :

نظام القضاء الشرعى فى الدول غير الاسلامية

—(٢)—

بقلم : فضيلة الأستاذ عتيق أحمد القاسمى
أستاذ الفقه و الحديث فى دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ
تعريب : محمد فهيم أختر الندوى

أقوال الفقهاء :

اتفقت المذاهب الفقهية الأربعة على أن نصب القاضى إذا انعدم السلطان يتم من أهل الحل و العقد و عامة المسلمين .

يقول أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى (٤٥٨ هجرية) :

« ولو أن أهل بلد قد خلا من قاض أجمعوا على أن قلدوا عليهم قاضياً ، نظرت ، فان كان الامام موجوداً بطل التقليد ، و إن كان مفقوداً صح ، و نفذت أحكامه عليهم ، فان تجدد بعد نظره إمام لم يستدم النظر إلا بعد إذنه ولم ينقض ما تقدم من حكمه » (١) .

و قال فى « فتح المعين » فى الفقه الشافعى :

« لا بد من تولية من الامام أو ماذونه ولو لمن تعين للقضاء ، فان فقد الامام فتولية أهل الحل و العقد فى البلد أو بعضهم مع رضا الباقين ولو ولاه أهل جانب من البلد صح فيه دون الآخر » (٢) .

(١) الأحكام السلطانية ص ٧٣ ، و ذكر مثل هذا القول الامام أبو الحسن الماوردى (٤٥٠هـ) فى كتابه « كتاب الأحكام السلطانية » ص : ٦٣—٦٤ ، مطبعة السعادة مصر .
(٢) فتح المعين ص ٢١٠ — ٢١١ .

و قال فى شرحه إعانة الطالبين :

« قوله دون الآخر أى دون الجانب الآخر من البلد فلا تصح التولية بالنسبة إليه لكن محله إن لم يرض به أهله و إلا صحت » (١) .

و قال العلامة أبو الحسن الأصبحى الشافعى :

إذا عدم فى قطر ذو شوكة و حاكم ولم يوجد للمرأة ولى ، ولا للأطفال وصى ، فهل لجماعة من أهل البلد نصب فقيه ، يتعامل فى الأبضاع و الأموال ، فأجاب الأصبحى — رحمه الله — بقوله : نعم ، إذا لم يكن رئيس يرجع أمرهم إليه ، اجتمع ثلاثة من أهل الحل و العقد و نصبوا قاضياً » .

و قد نقلنا من قبل عن تبصرة الحكام فى الفقه المالكى أن نصب القاضى يصح من أهل الحل و العقد فى بعض الأحوال الخاصة مع وجود الامام للضرورة ، فاذا لم يكن الامام موجوداً فبالأولى .

كان الشيخ الربانى الفقيه أشرف على التهانوى وجه بعض الأسئلة خلال تأليف كتابه « الحيلة الناجزة » إلى الفقهاء المالكية ، و منها :

« إن المسلمين إذا كانوا تحت حكومة غير مسلمة ، ولم يكن ثمة قاض من قبل الحكومة ، فهل يصح نصب القاضى من عامة المسلمين مع أن القوة لا تحصل بمجرد نصبهم » (٢) .

و أجاب على هذا السؤال مدرس الحرم النبوى الشيخ عبدالله الفوق المالكى :

« لا مانع من ذلك إذا اضطر الناس إلى ذلك بما دل عليه ظاهر كلام أهل المذهب » (٣) .

و أجاب كذلك العلامة صالح التونسى المالكى بقوله :

« و نصب جماعة المسلمين لقاض يفصل بينهم الخصومات و يقطع المنازعات

(١) إعانة الطالبين شرح فتح المبين ص : ٢١٠ — ٢١١ ج : ٤ .
(٢) الحيلة الناجزة ص ١٥٧ . (٣) أيضاً ص ١٦١ .

جائز بل يتعين فى بعض الأحيان على الأعيان إذا وجدوا سبيلا إليه و عدم معارض فيه و إجتماع الكلمة عليه » (١) .

أما أقوال فقهاء الأحناف حول نصب القاضى ، فقبل أن نتناول ذكرها ، يبدو من المناسب أن نسوق كلام العلامة علاء الدين الكاسانى عن أصل فقهى ، يقول الكاسانى :

« إن المؤكل إذا مات أو خلع ينعزل الوكيل ، و الخليفة إذا مات أو خلع لا تنعزل قضاته و ولاته ، و وجه الفرق أن الوكيل يعمل بولاية المؤكل ، وفى خالص حقه أيضاً ، و قد بطلت أهلية الولاية فينعزل الوكيل ، و القاضى لا يعمل بولاية الخليفة و فى حقه ، بل بولاية المسلمين و فى حقوقهم ، و إنما الخليفة بمنزلة الرسول عنهم ، لهذا لم تلحقه العهدة كالرسول فى سائر العقود و الوكيل فى النكاح ، و إذا كان رسولا كان فعله بمنزلة فعل عامة المسلمين ؛ و ولايتهم بعد موت الخليفة باقية ، فيبقى القاضى على ولايته ، و هذا بخلاف العزل ، فان الخليفة إذا عزل القاضى أو الوالى ينعزل بعزل ولا ينعزل بموته لأنه لا ينعزل بعزل الخليفة أيضاً حقيقة ، بل بعزل العامة لما ذكرنا أن توليته بتولية العامة ، و العامة ولوه الاستبدال دلالة لتعلق مصلحتهم بذلك ، فكانت ولايته منهم فى العزل أيضاً ، فهو الفرق بين العزل و الموت » (٢) .

دل كلام الكاسانى على أن تولية الخليفة لنصب القضاة و الولاة و عزلهم إنما هى نيابة عن العامة ، و الخليفة فى ذلك كالرسول من المسلمين ، و لهذا يبقى القضاة و الولاة بعد موت الخليفة ، و إذا كان الأمر كذلك ، فلأن يصير القضاة و الولاة بتولية المسلمين فى انعدام الخليفة قضاة و ولاة شرعاً أولى .

و بعد كلام الكاسانى نسوق أقوال فقهاء الأحناف فى الموضوع ، قال الشيخ محمود بن اسرائيل فى كتابه « جامع الفصولين » — وهو تحدث أولا عن مسألة دار الاسلام و دار الحرب لما كان لها من الأهمية فى عصره — :

(١) المصدر السابق ص ١٦٥ . (٢) بدائع الصنائع ج ٧ ص ١٦ .

« و كل مصر فيه وال مسلم من جهة الكفار تجوز فيه إقامة الجمعة و الأعياد و أخذ الخراج و تقليد القضاء و تزويج الأيامى لاستيلاء المسلم عليهم ، وأما طاعة الكفرة فهى موادعة و مخادعة ، و أما فى بلاد عليها ولاة كفار فيجوز للمسلمين إقامة الجمعة و الأعياد و يصير القاضى قاضياً بتراضى المسلمين ، و يجب عليهم طلب وال مسلم » .

قسم صاحب الفصولين بلدان المسلمين الواقعة تحت سلطة غير المسلمين ، إلى قسمين :

١— بلدان فيها وال مسلم من جهة الكفار .

٢— بلدان فيها ولاة كفار .

فى القسم الأول يقوم الوالى المسلم باقامة الجمعة و الأعياد ، و أخذ العشر و الخراج و تقليد القضاة و كل ما يتعلق بامام المسلمين من أمور اجتماعية ، وليست طاعته للكفار إلا خطوة سياسية .

و فى القسم الثانى ينظم المسلمون أنفسهم شؤنهم الاجتماعية من إقامة الجمعة و الأعياد و تعيين القضاة بتراضيهم ، و لكن يكون من اللازم عليهم طلب وال مسلم ، لأن القاضى لا يعالج إلا أمور القضاء فحسب أما الوالى فتدخل فى دائرته أبواب الدين الاجتماعية كلها ، فلا تنتهى مسئولية المسلمين بنصب القاضى فحسب ، بل يعتبر ذلك خطوة أولى من مراحل إقامة التنظيم الاجتماعى ، لأن المنصب كلما عظم خطره صعب اتفاق العامة على فرد يشغل ذلك المنصب ، ربما يتفق الناس على تعيين قاض فى بلاد و لكن لا يمكن اتفاقهم على وال بتراضيهم ، ففى مثل هذه الأوضاع لا يعطل أمر القضاء بل يجب على أهل البلدة نصب القاضى فيها ليقوم بالقضاء فيهم .

البلدان التى ليس فيها وال مسلم إذا أمكن فيها تعيين الوالى بتراضى المسلمين ، فالمناسب أن يختار أهل الحل و العقد واليهم ، وهو يعين الأئمة للجمعة و الأعياد و القضاة لفصل الخصومات و يعالج شؤناً اجتماعية أخرى .

يقول العلامة ابن الهمام (٨٦١ هـ) :

« و إذا لم يكن سلطان ولا من يجوز التقلد منه كما هو فى بعض بلاد المسلمين غلب عليهم الكفار كقرطبة فى بلاد المغرب الآن و بلنسية و بلاد الحبشة ، و أقروا المسلمين عندهم على مال يؤخذ منهم ، يجب عليهم أن يتفقوا على واحد منهم يجعلونه والياً فيولى قاضيا أو يكون هو الذى يقضى بينهم » (١) .

نقلنا من قبل كلام صاحب جامع الفصولين ، و نفس ذلك الكلام أو مافى معناه يوجد فى عديد من الكتب فى الفقه الحنفى مثل الطحطاوى (٢) و الشامى (٣) و البحر الرائق (٤) .

إذا انعدم السلطان فى بلاد يتولى عامة المسلمين جميع المناصب الدينية ، بل يتضح من كلام الفقهاء أن المسلمين يجوز لهم نصب فرد على أى منصب مع وجود السلطان أيضاً إذا احتاجوا إلى ذلك و كان فى الانتظار فى نصبه من جانب السلطان ضرر كبير أو تعطل أمر دينى كاقامة الجمعة و العيدين ، فانهما من أمور السلطان ، لا يقيم الجمعة و الأعياد إلا هو بنفسه أو من يوليه أو من يجعله إماماً ، و لكن إذا مات الوالى فى بلاد ، وهى بعيدة من دار الخلافة ، وليس هناك أحد غيره فوضه السلطان هذا الأمر ، وليس فى الوقت متسع بحيث يخبر السلطان عن موت الوالى و يطلب منه تعيين وال آخر ، ففى مثل هذه الحالة ليس على المسلمين أن ينتظروا من يعينه السلطان ، بل يقيم الجمعة من يجعله أهل البلدة إماماً .

يقول السرخسى فى المبسوط :

« فقد ذكر ابن رستم عن محمد — رحمهما الله — أنه لو مات عامل أفريقية فاجتمع الناس على رجل فصلى بهم الجمعة أجزأهم ، لأن عثمان — رحمه الله — لما حصر اجتمع الناس على على رضى الله عنه فصلى بهم الجمعة ، و لأن الخليفة

(١) فتح القدير ج ٥ ص ٤٦١ .
(٢) فتح القدير ج ١ ص ٣٢٩ .
(٣) رد المحتار ج ٤ ص ٣٤٢ .
(٤) البحر الرائق ج ٦ ص ٢٩٨ .

إنما يأمر بذلك نظراً منه لهم . فاذا نظروا لأنفسهم و اتفقوا عليه كان ذلك بمنزلة أمر الخليفة إياه » (١) .

السلطان يعين أمير الجيش . فاذا عين أميراً على جيش ، و أرسل الجيش لقتال العدو ثم يستشهد الأمير فى القتال فالظاهر أن المجاهدين لا ينتظرون أمر السلطان فى تعيين الأمير عليهم ، لأنهم إذا أوقفوا القتال فى الحرب و انتظروا أمر السلطان ليلحق بهم ضرر شديد و يتم لهم الانهزام فيها ، لذلك فانهم بأنفسهم يصطلحون على رجل و يجعلونه أمير الجيش ، و مثل هذا وقع فى غزوة موتة حيث نال الشهادة أولئك الثلاثة الذين جعلهم رسول الله — ﷺ — أمير الجيش واحداً بعد واحد ، زيد بن حارثة و جعفر بن الطيار و عبد الله بن رواحة ، ثم ما جرى فيهم يقول عن ذلك ابن هشام :

« ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم و حاشى لهم » (٢) .

ثم لم ينكر عليهم رسول الله — ﷺ — بل رضى بصنيعهم ، و عن هذا ورد فى الصحيح للبخارى حديث استنبط منه الفقهاء قواعد و أصولا هامة ، و الحديث كما يلى :

« عن أنس — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — ﷺ — أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، و إن عينى رسول الله — ﷺ — لتذرفان ، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له » (٣) .

(١) المبسوط ج ٢ ص ٣٥ — ٣٤ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام على هامش الروض الأنف للسهيلى ج ٢ ص ٢٥٨ .
(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ١٦٧ .

قال الحافظ ابن حجر فى شرح كلمة « من غير إمرة » :

« و المراد نفى كونه كان منصوصاً عليه، و إلا فقد ثبت أنهم اتفقوا عليه » (١).

و قال بدر الدين العينى (٨٥٥ هـ) :

« و فيه جواز تولى أمر القوم من غير تولية إذا خاف ضياعه و حصول الفساد بتركه » (٢).

و حاصل كلام العينى أنه يصح تولى أمر القوم بتراضيهم من غير تولية الامام إذا كان فى الانتظار ضرر أو تعطل و ضياع للحقوق.

و نقل العينى تحت شرح ذلك الحديث كلام الخطابى، وهو جدير بأن يذكر هنا، يقول الخطابى :

« فصار هذا أصلا فى الضرورات إذا وقعت من معاظم أمر الدين فى أنها لا تراعى فيها شرائط أحكامها عند عدم الضرورة وكذا فى حقوق آحاد النـاس أيضاً مثل أن يموت رجل بفلاة و خلف تركة، فان على من شهده حفظ ماله و إيصاله إلى أهله و إن لم يوص المتوفى ذلك، فان النصيحة واجبة للمسلمين » (٣).

و قد نقلنا من قبل عن بعض فقهاء المالكية أنه يجوز لأهل الحل و العقد نصب القاضى فيهم حينما لا يمكنهم مطالبة الامام فى ذلك ولا أن يستدعوا منه ولايته لبعد الامام منهم أو لأسباب أخرى.

و مما سقنا من كلام الفقهاء يتضح لنا جلياً أن الشريعة الاسلامية لا ترضى بالتعطل فى الأمور الدينية، و لا بد من توليـة تلك المناصب التى عليها مدار الضرورات الدنيوية أو الدينية للمجتمعات الاسلامية، أو بفقدها يتعرض المجتمع لضرر كبير وحرج شديد، فاذا تعطلت المناصب اللازمة فى المجتمعات الاسلامية بسبب فقدان الامام أو عدم شعوره بالمسئولية أو عجزه عن ذلك، حينئذ يجب على عامة المسلمين اختيار رجال أكفاء لتلك المناصب. « يتبع »

(١) فتح البارى : ج ٧ ص ٥١٢. (٢) عمدة القارى : ج ١ ص ٣٧٩.
(٣) عمدة القارى : ج ٦ ص ٢٧٩.

التعليم العـالى للنساء فى الغرب

— ١ —

دكتور أنيس أحمد
الجامعة الاسلامية العالمية (ماليزيا)

إن أفضل أسلوب لتفهم قضية التعليم العالى للنساء والاهتمام بها، هو ذلك الذى يأتى من خلال النظر إلى هذه المشكلة بالمضمون الذى تتكشف فيه أبعادها، فمن المعتقد أن أحد الأسباب الرئيسية لتخلف الدول النامية - بما فيها الهند و باكستان - فى مسيرتها الاقتصادية و الاجتماعية بصفة عامة، يرجع إلى غياب نسبة عالية من النساء المتعلمات المؤهلات تأهيلا فنياً و عالياً. هذا التبسيط للقضية يرتبط بافتراضات معينة، أولها و أهمها أنه يقوم على افتراض أن حصول المرأة فى المجتمعات المتقدمة تقنياً فى الغرب على هذا التعليم — كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية مثلا — قد أضفى مكانة أكبر على المرأة من الناحية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و أن ذلك قد يساعد على زيادة اجمالى الناتج القومى لدولة ما، و على الرغم من أن هذا الافتراض قد يبدو صحيحاً من الناحية النظرية، إلا أنه لا يتفق مع الواقع فى شئ، و تلخص جيل كونواى نائب رئيس جامعة تورنتو — كندا — للشئون الداخلية قيمة التجربة الأمريكية على النحو الآتى : « وعلى ذلك فقد أصبح من الواضح أن تجربة التعليم المختلط التى استمرت قرناً بأكمله لم تتمخض عن وضع من شأنه أن يقدم فرصاً مماثلة للنساء فى الطريقة التى يحددن بها ثقافتهن، بالقدر الذى يتاح للرجل (١).

(١) جيل كونواى نائبة رئيس جامعة تورنتو — كندا — للشئون الداخلية « التعليم المختلط و دراسات النساء : طريقتان للسؤال عن مكانة النساء فى الجامعة المعاصرة » ديدالوس، مجلة المجمع الأمريكى للآداب و العلوم فبراير ١٩٧٤ ج ١ ص ٢٤٤.

و حتى من الناحية الاحصائية و فى ضوء مبدأ التكلفة و الفائدة ، نجد أن التعليم المختلط لم يجد شيئاً فى مجال التعليم المتخصص لهذه « الأكثرية الصامتة » ، و تضيف جيل كونواى قائلة : « . . . و اليوم نجد أن ٧٤ ٪ من خريجى الكليات التى لها مكانتها من الذكور ، كما أن نسبة الخريجات من النساء فى بعض المجالات الحيوية كالكيمياء مثلا لا تتجاوز ١,٥ ٪ من اجمالى الحاصلين على الدرجة الجامعية فى هذه الدراسة ، يواصلن الدراسة للحصول على درجة الدكتوراة ، بينما نجد أن من يواصلن الدراسة للحصول على درجة الدكتوراه فى فرع الفيزياء لا تتجاوز نسبتهن ٣ ، ٢ (١) ، و تشير باميلا روبى أستاذة علم الاجتماع إلى الوضع فى الولايات المتحدة الأمريكية فى دراسة علمية أجرتها حول « النساء و التعليم العالى الأمريكى » فتقول : « لقد أيقنت النساء أنهن برغم ما حققته من مكاسب فى التعليم العالى ، فقد خسرن فى النهاية ، إذ بينما كانت نسبة النساء بين الحاصلين على درجة الدكتوراه أكثر من ١٥٪ فى العشرينيات والثلاثينيات ، فقد هبطت هذه النسبة إلى ١٣ ٪ فقط فى السبعينيات » (٢) .

و واضح أن الأسباب التى أدت إلى هذا الوضع ، أسباب معقدة ، فالسبب الأول والرئيسى تمتد جذوره بعيداً فى نظام القيم الثقافية الحضارية للغرب ، فثمة رغبة أنانية لاثبات الذات يتميز بها الرجل فى عالم الغرب سواء أكان يعمل فى الحقل الأكاديمى أم فى غيره من المهن ، و هذا الاتجاه ينعكس فى العديد من نواحى الحياة ، و قد بدأ هذا المفهوم واضحاً فى عبارة صدرت عن إحدى الطالبات فى جامعة ييل ، عبرت بها تعبيراً صحيحاً عن مشاعرها عند ما قالت :

(١) نفس المصدر ص ٥٤٥ .

(٢) باميلا روبى أستاذة علم الاجتماع ، « النساء و التعليم العالى الأمريكى » أنالس ، نوفمبر ١٩٧٢ ص ١٣٤ .

« إننى لا أنافس أحداً هنا . ولكننى أشعر أن الرجال هنا يتمتعون بطاقة كامنة تدفعهم إلى الكفاح ، و هذه الطاقة لا تظهر فى الكفاح من أجل الحصول على درجات علمية أعلى فحسب ، و لكنه كفاح يتجلى واضحاً حتى على مائدة الطعام عند ما تشتد المنافسة بين الرجال حول صاحب التعليقات الأكثر طرافة وذكاء (١) .

هذه الشهوة لارضاء الذات التى يتمتع بها الذكر هى إحدى خصائص المجتمع الغربى ، و على الرغم من أن جماعات الضغط النسائيه قد استطاعت أن تحقق بعض التقدم ، إلا أن قضية المرأة فى الغرب ما زالت قضية خاسرة ، وهو أمر يدعو لليأس ، وحتى إذا افترضنا أن البيئة والاتجاهات ، و كذا الأنماط المسلكية للرجال و النساء تختلف فى المجتمع الاسلامى عنها فى الغرب ، فهل يوجد لدينا فى حقيقة الأمر مجتمع إسلامى بالمعنى الصحيح و بالصورة المثالية المرسومة لهذا المجتمع ؟ أم أن العالم الاسلامى ، نتيجة للتيار العلمانى و التغريب السائد ، قد أصبح بدوره مجتمعاً علمانياً مادياً ؟ بل ثمة سؤال هام تجب إثارته فى هذه المرحلة ، و هو : هل مما تزدهى به ذاتنا أن نتبع خطى الغرب فى أخطائه وهفواته و أن نثبت بذلك أن معظم الرجال لا يتعلمون من تلك الأخطاء التى نشهدها فى عالم الغرب أم على العكس من ذلك نقول إن المساواة بين الجنسين ، بالشكل المطروح قد أثمرت و نتجت عنها نتائج إيجابية بناءة للغرب ؟ .

فى استطاعتنا فى عجالة أن نشير إلى أمرين : الأول هو ما ثبت لنا من أن التعليم المختلط الذى سارت عليه الجامعات فى الغرب طوال قرن كامل ، لم يؤت ثماره ، لا من حيث فهم الجنسين كل منهما للآخر ، ولا من حيث خلق ثقافة لا تفرق بين الجنسين ، و الأمر الثانى أن المساواة المزعومة بين الجنسين

(١) اسكوارتز وجانيت ليوير «النساء فى التعليم العالى لعالم الرجال » فى روسى و كالديروود ، « النساء المعاصرات فى انتعاش » لباميلا روبى ص ١٣٥ .

و توفير فرص متكافئة للجنسين فى التعليم و التوظف ، أمر إذا ما تأملناه على أرض الواقع فسوف نجد أنه ليس سوى حلم أو خيال ، و أنه أبعد ما يكون عن الحقيقة و الواقع .

إن الدراسات العديدة التى أجريت على المرأة العاملة ، قد أوضحت أن المساواة فى التعليم لا تعنى بالضرورة توفير الفرص المتكافئة (١) ، بمعنى أن الأهداف التى يسعى تعليم المرأة إلى تحقيقها ، قياساً بالفرص المتكافئة المتاحة للنساء بالمشاركة فى التنمية الاقتصادية و الفكرية و الاجتماعية فى أى بلد من البلدان ، تتطلب بعض التدابير الأخرى ، بخلاف التعليم المختلط ، و يقتضى المنطق منا أن نتعلم من تجربة الغرب وألا يؤدى بنا حرصنا على تقليد الغرب إلى أن نرتكب الأخطاء التى ارتكبوها و وقعوا فيها .

دور المرأة فى الاقتصاد الغربى :

فى النموذج الاقتصادى الرأسمالى الغربى أو الاشتراكى و من وجهة النظر الفنية و المهنية ، يتوقع من المرأة أن تسهم بدور إيجابى و إنتاجى من الناحية الاقتصادية . و أساس هذا التوقع أن الجزء الأساسى من العمالة المتوافرة من الرجال قد استخدمت بصورة كافية و متزايدة ، و من ثم فان مشاركة النساء فى ضوء هذا الواقع صارت أمراً ضرورياً تقتضيه متطلبات الاسراع فى خطى التنمية الاقتصادية و الانتاج .

(١) كيلسون ماريون « وضع النساء فى التعليم العالى » فى مجلة « سائنس » للنساء فى الثقافة والمجتمع ، ج ١ العدد ٤ الصيف ١٩٧٦ ص ٩٢٥-٩٥٤ غيل وارشو منكى لابيدوسى « العزل المهنى و السياسة العامة » دراسة تحليلية مقارنة للسياسة الأمريكية و الروسية ، مجلة «سائنس» للنساء فى الثقافة والمجتمع : الربيع ١٩٧٦ ج ١ العدد ٣ الجزء ٢ ص ١١٩-١٣٦ .

و حتى نتحقق من مدى صدق هذا الافتراض النظرى ، من وجهة نظر الواقع الاقتصادى ، فسوف نستعرض فيما يلى أربع عينات من المجتمع الرأسمالى الغربى و كذلك عينات من النماذج الاشتراكية الماركسية ، و سنبدأ بدراسة نمط اشتراكى هو المستوطنات التعاونية الاسرائيلية فى فلسطين المحتلة ، ثم نستعرض الوضع القائم فى الولايات المتحدة الأمريكية ثم فى جمهورية الصين الشعبية .

النموذج الاشتراكى فى المستوطنات التعاونية (المزارع الجماعية) :

من الصعب ، فى معرض دراسة التاريخ الاقتصادى المعاصر ، أن نغفل إنشاء المستوطنات فى فلسطين المحتلة ، فهذه المستوطنات لم تقم من تلقاء نفسها مثل المدينة المثالية التى نادى بها توماس مور ، بل لقد قامت وأنشئت بفعل الانسان وهناك الآن ٢٣٣ مستوطنة تقوم جميعها على عقيدة اشتراكية ، ويفترضون وفقا لمستوى تصورى وجود مساواة بين الجنسين سواء فى المشاركة فى العمل أو فى تقاسم حصيلة الانتاج الاقتصادى و مبدؤهم الذهبى الذى يتنادون به يقول بأن القيمة الاقتصادية للفرد تساوى قيمته و أهميته الاجتماعية ، و لكن مثاليات المستوطنات تلك قد تمخضت عن مشكلات عديدة ، بل لقد انتهى الأمر بجميع السلطات الرئيسية فى هذه التجربة الاقتصادية الزراعية الاشتراكية أن توافق على إنهاء فكرة المساواة بين الجنسين ، و إقامة نظام اقتصادى آخر — و من الناحية العملية يكاد يكون أشبه بنظام التفرقة بين الجنسين (١) .

(١) ١— اسبيرو ميلفورد الكيبوتز «المغامرة فى الدنيا المثالية» نيويورك ١٩٦٣ .
٢— روسنر مينا كم « النساء فى الكيبوتز : الوضع المتغير و الفكرة » الدراسات الآسوية و الأفريقية ، ٣ (١٩٦٧) ص ٣٥—٦٨ .
٣— روبين « الأجناس : « التصور و الحقيقة فى الكيبوتز اليهودية » ، جى ، سيوارد ، آرسى ويليم سون « الجنس يحكم فى المجتمع المتغير »

لقد تأسست تلك المستوطنات على فكرة فلسفية، قوامها، كما يعتقد كثير من المفكرين، الماركسيين منهم و غير الماركسيين، أن أهم عوامل التنمية و النماء هى التقانة (١) وقد يبدو هذا الرأى سليما على المستوى الافتراضى أو فى الحالات المثالية، فعلى الرغم مما يسود المستوطنات من التزام عقدى و رغبة جادة فى المشاركة الطواعية فى العمل، تعزى إلى الأسباب التنظيمية الكامنة فى النموذج الزراعى المثالى فى المرحلة الأولى من المزارع الجماعية، برغم ذلك فلم تكتف النساء بالعمل على الجرارات الزراعية والعمل جنباً إلى جنب مع الرجال فى الحقول فحسب، بل إن دورهن فى أعمال الخدمات كان ضئيلا، و شارك الجنسان فى أوجه نشاط الخدمات (٢)، ولكن سرعان ما تطور الأمر إلى نظام يفرق بين

نيويورك راندوم هاؤس ١٩٧٠ ص ٢٨٥—٣٠٧.

١— تالمون، يونينا، العائلة و الجماعة فى الكيبوتز، كيمبردج، ماسى، مطبعة جامعة هارورد ١٩٧٢.

٢— جرسون، ميناكم، الدرس من الكيبوتز: قصة تحذيرية، فى لوويس كاب هووى «مستقبل الأسرة» نيويورك ١٩٧٢ ص ٣٢٦-٣٣٨.

(١) ألف - كولدنر، الوين وبترسون ريجارد، التعليق على التقنية و الدافع الأخلاقى، انديانا بوليس، بوبس - ميريل ١٩٦٢.

ب - شيلس هوارد دين، التقنية الزراعية و الثورة السوفيتة، أطروحة الدكتوراة، جامعة وسكونسن ١٩٦٩.

ج - أدلمان، أرما، و موريس، سينتهيا تافت، المجتمع و السياسة و التقدم الاقتصادى، مطبعة بالتيمور، جامعة جونس هوبكنس ١٩٦٧.

د - ليفسكى جرهارد «المجتمعات البشرية» نيويورك، ايم سى كرال هيل ١٩٧٠.

(٢) بلومبرغ راى لبسير، تأكل المساواة الجنسية فى الكيبوتز، تفسير

الجنسين فى تقسيم العمل إلى درجة كبيرة (١)، و فى ظل هذا النظام الجديد أضحى الرجال أكثر انغماساً و بدرجة أكبر فى الأعمال الانتاجية و الادارية، أما النساء فصرن يعملن بصفة عامة فى قطاع الخدمات، ذلك القطاع الذى يشتمل على مختلف الأدوار المنزلية التقليدية كالطهى و الغسل و الحياكة و رعاية الأطفال (٢) و هذه الأعمال تعتبر أعمالا مخدرة».

و تذكر السلطات مما أوضحناه آنفاً و أوردناه (سبيرو ١٩٦٣، تالمون ١٩٧٢) إلى أنه لم يكن باستطاعة النساء أن يقمن مقام الرجال فى تلك التجربة بسبب طبيعة تلك الأعمال، خاصة أعمال الزراعة، كما يرجع ذلك أيضاً إلى عوامل بدنية جعلتهن لا يقمن مقام الرجال فى التجربة، و من بين الأسباب الاجتماعية النفسية الأخرى تبرز غريزة الأمومة التى تتميز بها النساء والتى تدفعهن إلى البقاء على مقربة من أطفالهن، و كذلك رغبة المرأة المتزوجة فى صحبة أفراد أسرتها، الأمر الذى يعد من بين الأسباب الرئيسية التى جعلت النساء ينسحبن تدريجياً من العمل فى القطاع الانتاجى (٣)

و نتيجة لتحويل النساء عن العمل فى القطاع الانتاجى و تفضيلهن العمل فى قطاع الخدمات «غير الانتاجية» أصبح ينظر إليهن من مواطنى الدرجة الثانية، و فقدن بذلك صوتهن السياسى كما لم يعدن يمثلن فى اللجان الهامة للمستوطنات، حتى إنه لم يعد لهن تمثيل كامل فى الوقت الحالى إلا فى اللجان المتعلقة بالخدمات

بنائى، فى رابرت، «وراء الثقافة الجنسية: امرأة حديثة، حقيقة حديثة نيو يورك ١٩٧٦ ص ٣٢١.

(١) نفس المصدر ص ٣٢١. (٢) نفس المصدر ص ٣٢١.

(٣) جيرسون ميناكيم ١٩٧٢ ص ٣٢٦—٣٢٨.

الاستهلاكية و تعليم الأطفال (١) .

ومن المهم أن نشير أيضاً إلى أن المستوطنات قد شجعت على زيادة النسل ، ربما لطبيعتها الزراعية أو نتيجة للموقف التقليدى الذى تتخذه اليهوديه تجاه الحياة الأسرية ، و لكن من الملاحظ أنه لم توكل إلى الرجال - ضمن السياسة العامة - أية أعمال فى وحدات الخدمات (مثل رعاية الطفل و الكى والطهى) وتشكل النساء أساساً حوالى ٥٠٪ من سكان المستوطنة ، ولكن عاجلا أو آجلا سوف يتحول ٩٠٪ من النساء إلى العمل بالخدمات ذات القيمة الأقل ، و من المهم أن نشير إلى أن تلك الفجوة التى نجمت عن هذه الأيام لم تؤد إلى أى تدهور فى الناتج الاقتصادى ، لأن الرجال من السكان المحليين أو من الزائرين ، نتيجة للالتزام العقدى ، سرعان ما اندفعوا طواعية للعمل لسد هذه الفجوة (و قد أدى هذا أيضاً إلى خفض قيمة النفقات الثابتة الخاصة بالانتاج إلى درجة كبيرة) هذه العمالة المتطوعة و الشبيبة اليهوديه قادمة أساساً من الولايات المتحدة وأوربا إلى فلسطين المحتلة لقضاء العطلة الصيفية ، قد تسببت فى إبعاد النساء عن الساحة بدرجة أكبر ، إذ أن هؤلاء الشباب كانوا دائماً أكفأ وأكثر إنتاجا فى العمل ، و كان لهذا أثره السلبى على النساء اللاتى سرعان ما شعرن فى بعض الأوقات بالنقص وخيبة الأمل ، إن ما يتردد من قول بأن « الغسل والكى هما المصير » قد يكون فيه شئ من المغالاة ، و لكن أسلوب العمل فى المستوطنات التعاونية و نظام تقسيم العمل فيها « و نظرية القيمة التى تحكم العمالة » ، كل هذا قد أدى إلى أن يؤول الأمر إلى ذلك بالفعل .

« يتبع »

(١) روبين ص ٣٨٢-٣٠٧ رونسز مينا كيم «المساهمة الفعالة فى تعبئة الرأى فى شركة الكيبوتز» تم تقديم الورقة بمناسبة المؤتمر العالمى حول «الاتجاهات فى العلاقات الصناعية والعامل» مركز تنظيم الكيبوتز ١٩٧٢ ، جون رابرت ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

أحمد حسن الزيات : الكاتب الفنان

—(٢)—

(١٨٨٥ — ١٩٦٨م)

بقلم : البروفيسور محمد راشد الندوى
رئيس قسم اللغة العربية ، جامعة عليكراه الاسلامية

بقيت الرسالة تحمل مشعل الفكر و العلم من سنة ١٩٣٣م إلى ١٩٥٣م وكانت موضع احترام و تقدير بين الأدباء و العلماء و النقاد فى البلاد العربية كلها ، و استمرت هى حوالى عشرين سنة تؤدى واجباتها و رسالتها بكل نشاط و إخلاص ، وكان كل أديب ناضج و فنان ماهر يتمنى من صميم قلبه أن ينشر له بحث أو مقالة فيها ، و من أغرب الأمور و أعجبها أن الرسالة كانت تنشر كل بحث علمى و لغوى مهما كان كاتبه ، وهى كانت تعتقد أن الرسالة منبر متحرك ، و لذلك ينبغى أن يفسح المجال لكل كاتب و باحث مهما كان مشربه و نزعته ، وهى ترى موضوع البحث و جدته و ندرته و قوته و فصاحته و بلاغته ، فعلا كانت هى عقيدتها أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها ، ففى ظرف عشرين سنة نشرت فيها أبحاث و مقالات حول موضوعات قديمة و حديثة ، و دارت فيها مناقشات فى موضوعات لغوية و دينية و اجتماعية ، و أحياناً كانت هذه المناقشات حادة عنيفة ، و كان كاتبنا ينشرها بصبر ، بل يقدرها من صميم قلبه ، إذ كان هو من دعاة الحرية و المساواة فى العصر الحديث ، و كان يعتقد أن الصحافة الحقة لا يمكن أن تتقدم و تتطور إلا إذا كان صاحبها يؤمن من صميم قلبه بمبدأ الحرية و المساواة ، و الحرية فى الحقيقة قوام لكل مجتمع متقدم و متطور كما هى قوام لكل نظام منتظم و محكم ، و فى ظل الحرية و المساواة وصلت الانسانية أعلى مكاناً و أشرف منزلا ، فاذا اختنقت الحرية وئدت المساواة فلا يرجى فى

الانسانية أى خير ولا شرف ، فقد نشطت الأقلام و نشرت هذه الأفكار الحرة ، حيث كانت الرسالة قدوة و أسوة لجميع المجلات الدينية و السياسية و اللغوية فى العصر الحديث ، و الناس كانوا فى حاجة إلى مثل هذه الأبحاث ، لأنهم كانوا فى حيرة من أمرهم ، و عدد كبير منهم فى تزمت و تحجر فى قضايا اللغة حيث كان يرى أن أى خروج من اللغة هو خروج و انحراف من الدين ، و كانت جماعة أخرى تعتقد أن اللغـــة العربية لا بد أن تتقدم و تتفعل مع تقدم الانسان فى الأطر و الأسس و النظم التى تركها لنا آباؤنا ، فالتزمت و الجمود فى قضايا اللغة يقودها إلى التآخر و الفناء ، فالأبحاث و المقالات التى نشرت فى الرسالة كانت نواة صالحة للقضايا النقدية ، و كان صاحبنا يشارك فى هذه الأبحاث و المناقشات بمقالات فيها المتانة و الرزانة كما فيهـا العمق و الجدة ، و أحياناً كان هو بأبحاثه القيمة يقدم أسساً و مناهج للكـتاب الناشئين ، و كانت هذه الأبحاث فى نفس الوقت إنذاراً و تنديداً للطبقة المتحجرة المتزمتة التى لا تؤمن بطبيعة اللغة ، ولا تعلم كنه الحروف و الكلمات ، يقول الزيات فى مقـالة « اللغة العربية بين التحجر و التطور وصلتها بالحياة و المجتمع » :

« هذه القداسة التى كسبتها العربية من القرآن و الحديث اكتسبتها أيضاً من العرب و جزيرة العرب فى تلك الحقبة المحدودة ، مصداق ذلك ان العلماء المصريين و العلماء من الكوفة و البصرة لم يدعوا فى البوادى العربية بقعة ولا صخرة ولا نبتة ولا حشرة ولا وجهاً من وجوه الأرض ولا ظاهرة من ظواهر السماء إلا وصفوها و سجلوها و رووا ما قيل فيها من الشعر و قصوا ما جرى عليهـا من الوقائع ، ولم يتركوا من مناطق إلا رووا وسائل حياتهم و مظاهر اجتماعهم و مختلف عاداتهم ، ولا لهجة ولا حالة إلا رووها ، ولا لعبة إلا جمعوها و دونوها ، حتى الكلمة الغريبة و العبارة المهجورة و الصيغـــة الممماتة ، فاجتمع لهم من كل أولئك سجل محيط شامل فرضوه بفضل هذه القداسة على جميع المتكلمين بالعربية

فى العصور الأربعة بقارات ثلاث ، فظلوا على رغم ما يلقون من السلطان و العمران و المدنية و العلم و الأدب و الفن ، يستعملون أمثال البدوى و أخيلته و مجازاته و تشبيهاته و كناياته ، يقول مثلا :

(جاؤوا على بكرة أبيهم ، الق دلوك فى الدلاء ، قلب له ظهر المجن ، ضرب إليه أكباد الابل ، ركب إليه أكتاف الشدائد ، و اقتعدوا ظهور المكاره ، ظل رائد العمل ، وهو شديد الشكيمة ، إن حلمـــه أثبت من يثرب و أوقر من رضوى ، و أوسع من الدهناء) .

ثم اعتقد أن اللغة قد كملت فى هذه الرواية ، كما كمل الدين فى هذه الرسالة ، فختم الرواة السجل و أغلق علماء اللغة باب الوضع ، كما أغلق فقهاء السنة باب الاجتهاد ، وتركوا الأمة العربية التى امتد ملكها من الهند و الصين شرقاً إلى جمال برانس غرباً ، تتعامل خارج البورصة و تتجاوز حدود المعجم ، كأنهم نسوا أن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين و لا أن تستقل استقلال الحى لأنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم و الأغراض لا تنتهى ، و المعانى لا تنفد ، و الناس لا يستطيعون أن يعيشوا خرساً ، وهم يرون الأغراض تتجدد ، و المعانى تتبلد ، و الحضارة تريهم كل يوم بمخترع ، و العلوم كل يوم تطالبهم بمصطلح ، و العلة لهذا الحرص ، إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان و المكان لم يهيأوا لحدوث هذه الأشياء ، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء ، فاذا أقررتم هـذا الاقتراح أيها السادة دمغتم معرة هذا العقم من هذه اللغة الكريمة التى سمعنا ما تنعت فى القرن الخامس ، تصف ناقة طرفة فتسمى أعضاءها عدداً عدداً ، وتنعت أرضاعها رضعاً رضعاً فى أربعة و عشرين بيتاً من معلقتـــه ، ثم نراها فى القرن العشرين لا تقف أمام سيارة فورد بكماء بلهاء تشير ولا تسمى و تهجم ولا تبين » .

الموضوعات الأدبية و اللغوية التى كتب فيها الزيات هى لا تزال خير مورد و أحسن معين و أقوى مادة لكل باحث و دارس ، و هذه الموضوعات نشرت

فيما بعد فى مجموعة باسم « وحى الرسالة » أخير مورد و معين للباحث الذى يريد أن يقف على النزعات و الاتجاهات المعاصرة فى النقد الأدبى و اللغوى ، يمتاز الزيات فى كتابة الأبحاث و المقالات بقوة الحجة و دقة التعبير ، و يختار تعبيره كلمات و حروفاً نسمع لها همسات ونحس لها بنبرات ، و هذه القدرة الفائقة و المهارة النادرة تتجلى حتى فى كتابة حول الشخصيات أو الكتب التى يريد الزيات أن ينقدها أو يقرظها ، فحينما يذهى القارى بقراءة مقالة كتبها عن شخصية مهما كانت هذه الشخصية علمية أو أدبية أو سياسية أو اجتماعية أو دينية ، تتحرك هذه الشخصية بمرأى القارىء بجميع خصائصها و أوصافها ، فكأنه يقرأ بين السطور شخصية تتكلم وتتحرك و يتبين ما فيها من خير و شر ، و حسن و بهاء ، و روعة و جمال ، و قوة و ذكاء ، نقدم إليكم نموذجاً من مقالة كتبها عن أحمد أمين ، يقول الزيات :

« لا استعمل فى الاخبار عنه « كان » ولا استعمل « هو » وعسى أنه يكون من بعض خبرائنا عنه أننا ما زلنا نعيش معه فى كتبه ، و نتصل بروحه فى أدبه ، ولعلك لا تجد ملازماً بين شيئين أشد مما هو بين أحمد أمين وما يكتب ، فقد كان إذا ألف كتاباً أو أفشى مقالة أو ترجم فصلا ظل باقياً وراء كلماته ، خلال سطوره يعرض عليك الصور ، و يقرء لك الأداء لطلعته الباسمة فى غير افتراز ، و لهجته الحازمة فى غير آمر ، و عقله القوى فى غير صلف ، و طبعه الحى فى غير ضعف ، و أسلوبه الهادىء فى غير فتور ، فلا تدرى أتقرأ أم تسمع كتاباً فى يدك أو رجل معك .

نشأ أحمد أمين نشأة أزهرية ، و أعنى بهذه النشأة ما يلازمها من نمط خاص فى الحياة و التربية و الدراسة و الوجهة ، من غريب هذه النشأة أنها تساعد على الهبوط كما تساعد على الصعود ، لأن حرية التعليم فيه كانت تهيئ كل نفس لما خلقت له ، ليكون قارئاً فى ضريح ، أو إماماً فى جامع ، و ذلك بعده ليكون

مستشاراً فى محكمة و أستاذاً فى جامعة ، فقد ردده الأزهر بخير ما فيه من صبر على الدرس ، و اتكاء على النفس ، و استقصاء لأطراف البحث ، و أحمد أمين كان كمحمد عبده و سعد زغلول ، و كان متضلعاً فى علوم الدين و اللغة أكثر النابغين من المتخرجين من الأزهر ، و لكنه كان من الأزهريين القلائل الذين أوتوا دقة النظر و حرية الفكر وسعة الأفق ، فكان فى الدين صاحب اجتهاد و فى اللغة صاحب رأى » (١) .

و يضيف قائلا عن « حياتى »

« إن أجمل ما فى كتابى تلك البراعات الذهنية التى تبدو لك بين الصفحة والصفحة فى تحليل نفس أو تعليل حادث أو تأثير شخص فى شخص أو موازنة حالة بحالة ، على أن مثل « حياتى » فى انبثاثها من البيت و الحارة و الكتاب و الأزهر فى تفرقها بعد ذلك فى نواحى و وجوه الأرض و أشتات العمل كمثل الدوحة العظيمة تكون عند الجذع قوية عظيمة مكتزة تضطرب بالحياة و تزخر بالخصب ، و تستمد غذاءها من جذورها الذاهبة فى جوف الثرى ، فاذا تفرعت على ساقها انتشرت الأغصان و تشعبت الأفنان ، فتوزعت الحياة و تقسم الرىء ، و خفتت الحركة ، ولكن فيها مع ذلك الجمال و الظلال و الزهر و الثمر ، فالقسم الأول من « حياتى » كأصل الدوحة عميق وثيق مكتنز لاستمداده من أعماق النفس ، و القسم الآخر كفروعها ، هش الأفنان ، منبسط الجوانب لامتداده فى آفاق الطبيعة ، و الكتاب بعد ذلك قد كشف عن سر من أسرار الصناعة فى كاتبه ، ذلك سر القصة ، و نفس الفنان عميقة كما تكون ، سحيقة لا تنتهى أسرارها حتى ينتهى المجهول ، ولا تنقضى عجائبها حتى تنقضى الحياة » (٢) .

و يكتب الزيات عن المازنى : « كان المازنى على هذه الثورة و هذا الطموح خافض الجناح ، قوى النفس ، راكد السطح ، لأنه عميق غور فما كنت تراه زاهياً

(١) المصدر نفسه ٤/١٤٥-١٤٦ . (٢) المصدر نفسه ٣/٢١١ .

بنفسه ولا متبجحاً بعلمه ولا مباهياً بعمله ، ثم كان على ضآلة جسمه و وهن عظمه مهيب الجانب ، لذكاء قلبه و رجاحة عقله ، لا يعبث فى درسه التلميذ ، ولا يجرأ على كرامة معلم ، فتوثقت بينى و بينه أسباب المودة ، فزاملته فى التعليم ، و صادقته فى الأدب ، و زاملته فى الصحافة ، فلم أجرب — شهد الله — لؤماً فى زمالة ، ولا غشاً فى صداقة ، ولا سوءاً فى معاملة ، عرفت المرحوم المازنى فى خريف ١٩١٤م يوم دخلنا المدرسة الاعدادية الثانوية معلمين ، و كان يومئـذ فى مرح شبابه ، و ميعة نشاطه ، يتوسط باحـة الأدب ، و يطرق بابه ، و يحاول هو و صاحباه العقاد و شكرى أن يشقوا طريقهم إلى المجد فى أرض غليظة صلبة ، يقوم فى بدايتها عقبتان : صاحب الشوقيات بشعره الرائع ، و صاحب النظرات بنثره البليغ ، و لـكنهم كانوا أصحاب معول و مشطر ، يهدمون بالنقد و الثلب و التجريح ، و يبرون بالتجويد و التجديد و الدرس ، فلم يفعلوا فعل الضعفاء الملكة اليوم يخفضون مستوى البلاغة ليصعدوا القمر ويقربون غاية الفن ليلحق المبطئ » (١) .

و يقول عن قاسم أمين :

« كانت الفترة التى نشأ فيها بعد هزيمة المصريين و انتصار المحتلين أشبه شئ كالفترة التى تأخذ من أواخر الشقاء و أوائل الربيع ، فيه الخضر و البرود و الجدب ، و لكن فيه أطرافاً من الحس و الدفء و الخصوبة ، فالشعب كان يعـانى من عواقب الأزمان السود التى أتته عليهم من رواتب الأجناس السود ، التى عاثت فيه ألواناً من الجهل و الذل و الفوضى جعلته يستكين لعوامل الفساد فى الخلق و العقيدة و الثقافة و المجتمع ، فالحكم أهواء وشيع ، و الدين أهواء و بدع ، و العلم قشور ومسخ ، و الأدب تقليـد و زخرف ، و الرجال آلات للعمل

(١) المصدر نفسه ٣/٣٠٨ .

و الانتاج ، و النساء إماء للخدمة و المتعة ، و السلطان مختل يصرف أمورنا لمشيئته ، و المال الأجنبى يستغل مواردنا لمنفعته ، و كانت البراعين التى بكرت إليها حياة الربيع فتفتحت من الشعور و الوعى ، تشتمل فى الرواد الأولين : جمال الدين و محمد عبده و مصطفى كامل و سعد زغلول ، و قاسم أمين و الشيخ عبد العزيز فهمى » .

هذه الألواح الفنية التى قدمناها تنم عن شخصية الزيات الفنية ، فهو مصدر بارع لا تفوت حركة ولا نفسية داخلية للشخصية التى يصدرها و يحللها ، فكأن ريشته تطيعه فى رسم الشخصيات و تصوير الفنانين ، فهو فى أبحاثه الأدبيـة و مقالاته النقدية و كتاباته الفنية أتى نموذجاً قوياً حيا لكل أديب و لكل باحث ، ولم يكن صحافياً يتفرج من بعيد ، و يتلقى أبحاث الناس و مقالاتهم بدون أن يرى فيها رأيه ، بل كان يصلح كل مقالة إذا كانت فيها أخطاء لغوية أو بيانية ، و لـكنه بجنب ذلك كان سمحاً ينشر آراءه و مشاربه و اتجاهاته بكل طلاقة و سمو ، لأنه كان يرى أن الأدب الحى و الصحافة القوية لن تتطور ولن تتقدم إلا إذا كتب كل باحث و كل كاتب عما فى نفسه من رأى و فكر و عقيدة و إيمان ، فالأدب الحى القوى يكون تعبيراً و تصويراً لهمسات القلوب و نجوى الفؤاد ، فعلا عشرون عاماً التى قضاها الزيات فى إصدار مجلة « الرسالة » هى كانت سنوات خصبة فى تاريخ مصر الحديث ، بل هى كانت ساعات حلوة رغدة . التفت القلوب و تلاقت الأذهان لغاية واحدة وهى رفع مستوى اللغة ، و إزالة ما سرى إليها من فساد ، وما دب إليها من خرافات ، وما تسرب إليها من اعوجاج ، فكان الزيات همزة وصل و وساطة عقد لـكتاب البلاد العربية جميعاً و الرسالة أدت غايتها بمهارة فائقة ، و أصبحت فيما بعد قدوة صالحة لكل مجلة تريد أن تخدم لغتها و شعبها و أمتها . فسلام الله عليك يا زيات ، فقد كانت حياتك مثمرة خصبة نشيطة قوية ، و صرت بعد مماتك أسوة لكل باحث مجد ، وقدوة لكل صحافى مخلص .

باكثير فى ملحمة عمر

(الفصل الثالث)

الدراسة الفنية

السيدة سامية وفاء بنت عمر بهاء الأميرى

أ ـ شخصيات الملحمة البارزة و تحليلها :

من الواضح الطبيعى أن يكون عمر بن الخطاب هو الشخصية الأولى الأبرز و الأكثر تألقا فى ملحمتنا ، على أن هناك من الشخصيات البارزة الأخرى العدد الكبير الذى تقتضيه سعة رقعتها فى المكان و الزمان و قد كان لكل منها مقامه الخاص المتميز فى نطاق الدور الذى يقوم به .

ارتبطت شخصية عمر رضى الله عنه بكل الشخصيات الأخرى تقريباً بمدى أو بآخر و قد ساعد ذلك على ظهور جوانب عدة من عبقرية الفاروق ، أما أبو عبيدة الذى سماه أبو بكر (رضى الله عنه) أمين هذه الأمة ، وسيف الله خالد ابن الوليد و المثنى بن حارثة و عمرو بن العاص و سعد بن أبى وقاص . . وعدد كثير سواهم فقد كانت لكل شخصيته البارزة التى أدت دوراً هاماً و خطيراً فى هذه الحقبة من التاريخ ، و بالتالى كان لها حيزها المرموق فى ملحمتنا .

ولنا أن نتساءل هنا : ترى ماذا قدم باكثير من أبعاد هذه الشخصيات ؟

فهل رسم لنا أبعادها الجسمية والنفسية و الاجتماعية ؟ هل وضح لنا حقيقتها الانسانية من خلال الصراع بين أبعادها المختلفة تلك عبر ما تواجهه من المواقف المتعددة ؟ هذا ما سنسعى لتوضيحه فى تحليلنا الآتى :

لا شك أن الفاروق رضى الله عنه من ألمع شخصيات التاريخ الفذة التى أفاضت كتب السيرة و المغازى و الأدب بوصفها و الحديث عنها . . . و فى « ملحمة عمر » ساق لنا باكثير على لسان بعض أشخاصه ، صفات لعمر بن الخطاب ، منها

ما كان مرفوعاً كالحديث الذى رواه أبو بكر رضى الله عنه عن الرسول ﷺ : قال : « قد كان فيمن قبلكم ملهمون أو محدثون فان يكن فى أمتى منهم أحد فعمر » (١) و الحديث الذى أورده على بن أبى طالب (رضى الله عنه) : « إن الله قد جعل الحق على لسان عمر ، قلبه » (٢) و منها ما جاء على لسان بعض المسلمين كوصف المثنى بن حارثه ، وهو يحاور زوجته سلمى إذ يقول : « ألم أقل إن عمر نسيج وحده ؟ إنه رجل لا يكاد يواجهه احد حتى تذوب من نفسه كل شهوة من شهواتها ، وكل هوى من أهوائها ، ولا يبقى غير الحق و غير العمل لذات الله : إنه رجل إلهى يعطيك من ذاته أكثر مما يأخذه منك ، فلا تملكين إلا الرضا بقضائه كائنا ما يكون » (٣) .

و يصفه لنا سعد بن عميلة الفزارى بأنه : « رجل أصلع طوال فى أسمال » (٤) و لا يسترسل باكثير فى وصف البعد الجسمى لعمر ، بل إنه يهتم أكثر ما يهتم بالبعدين النفسى و الاجتماعى اللذين عليهما المعول الأول . . .

أما العقاد فى « عبقرية عمر » فيقول « إنما الأمر الميسور فى التعريف بهذا الرجل العظيم ، أن خلائقه الكبرى كانت بارزة جداً لا يسترها حجاب . . . فالعدل و الرحمة و الغيرة و الفطنة و الايمان الوثيق صفات مكينة فيه لا تخفى على ناظر » . . (٥) .

نعم إن هذه الصفات كلها جلية واضحة لكل من اطلع على نبذة من ترجمة حياة عمر ، و إنها لمنثورة فى « ملحمة » باكثير بل لعله صب جل اهتمامه على إبرازها ، لتكون مثالا يحتذى لملك يسمو طموحه إلى الأخلاق السامية ، و الطباع الحميدة . .

كان عمر يتسم بالاستقامة فى كل شئ ، ولا سيما فى حرصه على المساواة بين

(١) ملحمة عمر الجزء الأول — ص ٢٠ .
(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٣١ .
(٣) المصدر السابق نفسه : الجزء الثانى — ص ١١—١٢ .
(٤) المصدر السابق نفسه : الثامن — ص : ١٥ .
(٥) ص : ٣٦ .

جميع المسلمين فلا فرق بين قريب له و غريب منه ، بل إنه ليتشدد مع أهله و أقاربه بأكثر من عامة المسلمين .

لقد أبرز لنا باكثير شخصية عمر من جميع جوانبها ، و استعان بالصراع النفسى الذى تتضارب فيه كل الصفات ليعطينا صورة دقيقة لهذا الانسان العظيم . لقد كان لا يخشى فى الحق لومة لائم ، و كان قوياً فى كل شئ ، بطبعه . . بايمانه . . بعدله . . باقدامه . . و كان القوى عنده ضعيفاً حتى يأخذ الحق منه ، و الضعيف قوياً حتى يأخذ الحق له . . و كان مقدراً لعواقب الأمور عميق الايمان بنصر الله . . سريعاً إلى النجدة فى الحق ، و كان مع كل ذلك آية فى الرحمة . . غيوراً على المساكين . . يبكى من خشيه الله ، معرضاً عن زخارف الحياة ، دون ضعف ولا من ، بل « لأنه كان قادرا على الاعراض غير ممتحن به فى إرادة ولا عزيمة »(١) إنها صفات متلاحمة متناغمة ، تكمل إحداها الأخرى ، فتصهرها جميعاً قوة الايمان ، لتخرج منها المثل الأعلى لانسان الانسان « عمر بن الخطاب » .

و قد استطاع باكثير أن يرسم لنا كل هذه الخطوط من شخصية عمر موزعة فى ملحمته كما تحدث عنها العقاد مجمعة فى عبقريته ، فبانت لنا فى كمال حقيقتها ، نابضة بالصدق و كأنها ما تزال ملء الحياة .

و شخصيات الملحمة الأخرى لا يقصر باكثير فى الاهتمام بها و إعطائنا فكرة كافية عنها حتى لكأننا نعيش معها و نتأثر بها و ننحاز إليها فى بعض المواقف . . . فبقرائتنا عن المثنى بن حارثة نعرف أنه البطل الشجاع المطلوب فى كل ملحمة ، الجيد المعرفة ببلاده ، الذكى الواسع الحيلة فى ميدان الحروب ، و إنه المؤمن القوى . . . و لهذا فاننا نشعر بالأسف عندما يعزله أمير المؤمنين من قيادة الجيش ، و نتمنى لو أنه لم يصنع ذلك . . .

و خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، و ابن السلالة و المجد ، يصفه لنا

(١) العقاد : عبقرية عمر : ص ٥٦ .

باكثير على لسان فرموس بأنه (عملاق أبيض على فرس أشقر ، يضع على رأسه قلنسوة سوداء) (١) وفى مواطن مختلفة يصف شدته فى الحرب و عنفه فى القتال . . كما يطلعنا على سجاياه و خصاله العربية الأصيلة التى قد تكون من أسباب عزله عن منصبه . . . . . و يظهر لنا الصراع قوياً بين عمر و خالد و لكن فى نطاق الايمان و الجدارة و الاجتهاد فى النصيحة لله و لرسوله و للمسلمين ، حيث تظهر لنا قوة عمر بن الخطاب و شدته حين أعلن على الناس شكوى خالد ابن الوليد منه ، و من هذا المشهد تتجلى لنا الأبعاد النفسية و الاجتماعية فى شخصيتى عمر و خالد رضى الله عنهما . . و هذا الصراع فى بعض المواقف و وجهات النظر العامة بينهما . . .

١— يقول العقاد فى عبقرية عمر وهو يصفه : (. . إن « طبيعة الجندى) فى صفتها المثلى هى أصدق مفتاح « للشخصية العمرية » فى جملة ما يؤثر أو يروى عن هـذ الرجل العظيم و أهم خصائصها : الشجاعة و الحزم و الصراحة و الخشونة و الغيرة على الشرف و النجدة و النخوة و النظام و الطباعة ، و تقدير الواجب و الايمان بالحق ، و حب الانجاز فى حدود التبعات و المسؤليات ، هذه الخصائص واضحة كلها فى عمر ، و عمر وحده واضح بين أمثاله فى جميع هذه الخصائص حتى ليخيل إلينا لو أن أحداً مولعاً بتاليف الألغاز سأل عن عظيم فى الاسلام و العروبة فنصف بجميع هذه الخصائص على أصدق و أبرز حالاتها ، لكان الجواب الوحيد اسم عمر بن الخطاب » .

أما أمير الأمة أبو عبيدة بن الجراح فاننا نستشف من الملحمة زهده الشديد فى الدنيا ، و إقباله العظيم على الآخرة و تواضعه الجم و رقته و لطفه و حرصه على عدم جرح مشاعر الآخرين . . و كان ورعه و تقواه وازعاً قوياً لعدم قيام

(١) العقاد ، عبقرية عمر ص/٥٦ .

صراع بين نفسيته و مجتمعه، فكان قنوعاً، يرضى بأقل القليل و يعف عن الكثير ولو قدم إليه، مع عمله على الاستزادة من الخير لدينه و أمته . . .

و هناك شخصيات برزت لنا بشكل خاطف سريع من خلال بعض التصرفات البطولية السامية، يجدر بنا أن نشير إليها، فهذه سلمى بنت أبى حصفة زوجة سعد ابن أبى وقاص، و أرملة المثنى بن حارثة، تأبى عليها نفسها التى نشأت و ترعرعت فى جو المعارك و الحروب، أن تترك أبا محجن الثقفى فى السجن و رحى المعركة تدور على قرب أميال منه، وهو يتلظى شوطا إلى الجهاد، و إنها لتلمس حرصه الشديد على المشاركة فى وهج عينه، و تسمعه فى نبرات صوته، فتغلبها عواطفها السامية المثيرة فى هذا الموقف، و تحل قيده، و تتحمل كل مسؤولية واثقة بوعده إنه سيعود بنفسه إلى محبسه و يحقق الله حسن ظنها به، فيفى أبو محجن بوعده و يعود إليها لتوثقه من جديد بعد أن أدى الرسالة و أبلى فى سبيل الله البلاء الحسن.

نعم : إن مثل هذه المواقف الزاخرة بالاحتدام العاطفى و اصطراع المشاعر، تظهر شخصية الانسان و جوهر معدنه الذى قد يسمو به إلى أرقى درجات السمو، أو يهبط به إلى الحضيض . .

و لقد قدم لنا باكثير صورة حية تفيض بالعواطف الداخلية المتأججة فى حرب شعواء لا يحس بها إلا صاحبها . . . وهى ناتجة عن الصراع بين الدين و الوطنية . . و إن هذا ليتمثل لنا جليا فى شخصية شيرين التى آمنت و ثبتت على أشد أنواع العذاب، رغم أنوثتها ورقتها و حافظت على شرفها و دينها و لكن مع ذلك لم تستطع أن تتخلص فى بعض مواقفها من الاستجابة إلى نداء وطنها المدوى فى أعماقها، و الذى غلبها مرة فدفعها إلى خيانة دينها و زوجها . .

و كذلك نجد الهرمزان الذى يندم أشد الندم على ما دبر من مؤمرات لاغتيال عمر رضوان الله عليه، فيتمنى لو أن الاسلام أباح الانتحار لانتحر و أراح نفسه و ضميره مما يعتلج فيهما من عذاب الضمير . .

« يتبع »

مجتمع المدينة المنورة فى عهد الرسول ﷺ

دكتور سيد إبراهيم الدد
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر القاهرة

هذا الكتاب فى أصله رسالة علمية تقدم بها صاحبها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد لقمان الأعظمى الندوى إلى قسم اللغة العربية فى كلية الآداب جامعة القاهرة فنال درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

ثم قامت دار الاعتصام - إحدى دور النشر العريقة - فى القاهرة بنشره فى بلدان العالم الاسلامى لأول مرة عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، و امتازت الطباعة بكل معانى الجودة و الأناقة و قد حظى هذا الجهد العلمى الجاد باعجاب الأوساط العلمية ، فأثنت عليه ، و نوهت به .

قدمته إذاعة القرآن الكريم فى جمهورية مصر العربية إلى المستمعين فى شهر رمضان ١٤١١هـ ، فكشفت عن غايته ومنهجه ، وأشارت إلى موضوعاته وقضاياه ، و عدته مرجعاً قيماً ازدانت به المكتبة الاسلامية .

كما قدم للكتاب فى طبعته هذه أستاذان جليلان، و عالمان فاضلان هما : فضيلة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى ، والأستاذ الدكتور يوسف خليف.

أثنى فضيلة الداعية الاسلامى الكبير على هذا الكتاب ومنهجه ونوه بقيمته فقال : « لقد صور المؤرخون المجتمع الاسلامى الأول تصويراً يختلف عن تصوير القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بابراز أحداث مشتتة ، لأن الذين ألفوا هذه الكتب كانوا بعيدى الصلة عن المجتمع المدنى، وعن العهد الأول ، فعرضوا أحداث التاريخ الأول فى ضوء ميولهم الفكرية ، وواقع حياتهم ، و كانت الحاجة ماسة إلى عرض جو هذا العهد ، وهذا المجتمع فى المنظور القرآنى ، وقد أحسن (المؤلف) بعرض هذه الرؤية القرآنية للحياة فى عهد الرسول ﷺ .

و عرف الأستاذ الدكتور يوسف خليف - الذى حظى البحث باشرافه -

بمؤلف الكتاب و سجل إعجاب لجنة المناقشة بجهده الذى بذله فى رسالته قائلا : « كان إعجاب لجنة المناقشة بها إعجاباً كبيراً ، قدرت له الجهد الخصب الذى بذله فيها ، و أثنت على المنهج العلمى الدقيق الذى سلكه فى دراستها، وعلى الأسلوب العربى السليم الذى كتبها به ، و نوهت بسيطرته المحكمة على جوانب موضوعه ، و خبرته الواسعة بمصادره و مراجعه و حمدت له دقة أحكامه التى انتهى إليها ، و سلامة نتائجه التى حققها . . . . »

تكون هذا البحث من مقدمة وأربعة أبواب تضمنت عشرة فصول ثم خاتمة .

حدد الباحث - أطال الله بقاءه - غايته من بحثه فقال : إن « الهدف الذى تسعى إليه هذه الدراسة استجلاء الحقائق حول هذا المجتمع المثالى : كيف تأسس؟ وما الركائز التى قام عليها ؟ و ما الأساسيات التى ساهمت فى تكوينه و تنظيمه ؟ و ما التطورات الاجتماعية والاقتصادية التى شهدها ؟ و ما التحديات والتكتلات التى واجهته ؟ وما الأساليب التى كان يسلكها نبي الهدى ﷺ لمواجهة هذه التحديات حتى نما و ازدهر و تكامل و تحول من صورته الجاهلية إلى صورته الاسلامية المثالية ؟ » .

وقد أجابت أبواب البحث وفصوله عن هذه الأسئلة ونحوها فى دقة وتفصيل .

فالباب الأول : « المجتمع المدنى فى مرحلة التأسيس » اشتمل على ثلاثة فصول :

أبان الباحث فى الفصل الأول عن دور الهجرة فى تأسيس المجتمع المدنى ، و تحدث فى الفصل الثانى عن ركائز المجتمع الجديد ، و خص الفصل الثالث بالجهاد و الغزوات الأولى ، و قد اقتصر على دراسة غزوة بدر وغزوة أحد دون غيرهما من الغزوات لأن لها تأثيراً مباشراً فى تنظيم المجتمع و تكوينه ، و تحدث المؤلف فى فصلى الباب الثانى عن الوسائل النظرية و التطبيقية التى كان لها دورها فى تطوير المجتمع المدنى .

أما الباب الثالث فعنوانه : « البنية الاجتماعية فى صورتها الجديدة » و فيه

ثلاثة فصول : عرض فى الفصل الأول للأسرة ووسائل الحفاظ عليها ، ودرس فى الفصل الثانى : التطورات الاقتصادية والتكافل الاجتماعى ، و رصد فى الفصل الثالث الآداب الاجتماعية التى نظمت سلوك هذا المجتمع .

و أما الباب الرابع و الأخير فقد اختص بالأقليات فى المجتمع المدنى ، و ضم فصلين : تحدث فى أولهما عن أهل الكتاب كاشفاً عن مكانة اليهود فى المجتمع اليثربى ، و عن دورهم فى تحريك الوقائع و إثارة الأحداث ، داعماً حديثه بنصوص من القرآن الكريم ، كما سجل اعترافات الكاتب اليهودى الشهير (ويلفنسون) فى هذا الصدد ، ثم ختم الباحث هذا الفصل بحديث عن النصارى و أثرهم فى المجتمع المدنى ، مركزاً على مباهلتهم و مجادلتهم للنبى ﷺ ، و حرى بالتنويه أن الباحث عرض هذه المباهلة فى صورة حية مثيرة للنفس وفى الفصل الثانى من هذا الباب تحدث فى إفاضة عن الأقلية الثالثة (المنافقين) .

ثم ختمت الرسالة بخاتمة تضمنت تلخيصاً لأفكارها وتسجيلا لنتائجها وثمارها.

و ألفت النظر إلى أن الباحث الكريم حرص على الالتزام بالمنهج التحليلى لواقع المجتمع المدنى فى عصر النبوة بطوائفه الثلاث : المسلمين ، و أهل الكتاب (اليهود و النصارى) و المنافقين فى ضوء تصوير القرآن الكريم له .

إن أبرز ملامح هذا الكتاب استمداده الحقائق من خلال التصوير القرآنى لأحداث المجتمع المدنى ، وهو تصوير معجز خالد سيبقى إن شاء الله تعالى جديداً متجدداً بتجدد الأيام و الظروف ، كلما قرأته ألفيت عطاء جديداً يؤكد لك أنك تقرأه أول مرة ، لأنه تصوير يخاطب أفراد المجتمع و جماعته قائلا : أقم دولة القرآن فى قلبك تقم فى مجتمعك » .

لقد عنى المؤلف بجمع الآيات التى عالجت كل قضية من قضايا بحثه المتعددة ، المتنوعة ، فرصد فى مستهل الحديث عن كل قضية الآيات التى تعالجها، ثم درسها دراسة متأنية عميقة مستعيناً بالله عز و جل ثم بالأحاديث ، ملتزما بمنهجه العلمى الدقيق .

و نكتفى من هذه العجالة بالاشارة إلى إحدى قضايا الكتاب ، و قد عنون المؤلف لها « التطورات الاقتصادية و التكافل الاجتماعى » .

بدأ صاحب الكتاب حديثه عن هذه القضية بتسجيل الآيات التى وردت فى هذا الصدد كقوله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة . و الله يقبض و يبسط و إليه ترجعون » و قوله « و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » ثم درس المؤلف الآيات دراسة واعية مبرزاً مدى استجابة المجتمع الاسلامى لهذه الأسس الاقتصادية القيمة ، وقد عنى المؤلف كل العناية بالحديث عن قضية الربا مفصلا القول فى أدوار تحريمه الأربعة تمشياً مع قاعدة التطور و التدرج .

و كان ضرورياً أن يدرس الكتاب بعد ذلك قضية التكافل الاجتماعى ، تلك القضية التى عنى بها الاسلام من أول يوم ، فدعا المسلمين إلى إقامة مجتمع متكافل يسوده الخير ، و تشمله المحبة ، و تحكمه العدالة ، و يقوم بين أبنائه التعاون على البر ، و التناصر بالحق ، و التناصح بالتقوى

هذا المفهوم للتكافل الاجتماعى استنتج من الآيات و الأحاديث ، فمن الآيات قوله تعالى : «وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم و العدوان» .

و من الأحاديث قوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » و قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

و بعد :

فهذه صورة مجملة لكتاب : (مجتمع المدينة فى عهد الرسول ﷺ) أسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين فى شتى بقاع المعمورة ، و أن يبارك فى عمر مؤلفه ، و أن يجعله فى ميزان حسناته ، و أن يمن على قلمه ببحوث جديدة تثرى مكتبتنا الاسلامية و القرآنية ، و تقدم زاداً شهياً لأهل العلم و عشاقه ، فالحياة مع الدراسة القرآنية « سعادة لا يعرفها إلا من ذاقها ، سعادة ترفع العمر و تباركه ، و تجلو القلب و تصقله » كما ذكر صاحب هذه الدراسة القيمة .

ضعف الطالب و المطلوب

واضح رشيد الندوى

فى عام ١٩٧٠م أصدر أندريه ألمريك ، أحد كبار المؤرخين السوفيت كتاباً تنبأ فيه بانهيار الاتحاد السوفيتى قبل عام ١٩٨٤م ، وكان الكاتب كتب فيه « أن الشيوعية التى ولدت على أنقاض الأرثوذكسية ، كعقيدة بها يهتدى المجتمع ، تشق سبيلها إلى الانهيار ، فالقيم الحسنة الوحيدة التى تسود المجتمع الروسى حالياً هى القومية ، و عبادة الشعب لنفسه و قوته و سلطته على الشعوب المحيطة به .

و أضاف يقول ! إن السلطة الحاكمة فى الاتحاد السوفيتى تفقد انسجامها و سلطتها فتتوقف المؤسسات عن العمل مما يؤدى إلى التدهور التام » .

و فى نفس العام وجه عضو الأكاديمية زخاروف أب القنبلة الذرية السوفياتية ، و المؤرخ موفديف ، و العالم السوفياتى تورتشين رسالة إلى اللجنة الثلاثية الحاكمة فى الاتحاد السوفياتى أشاروا فيها إلى خطر الديكتاتورية الشيوعية و دعوا إلى إدخال مزيد من الديموقراطية على الحياة الاجتماعية ، و أضافوا فى الرسالة « أن دلائل الاضطراب والجمود برزت فى اقتصادنا ، كما أن معدل الدخل القومى يتدلى باستمرار ، وأخطاء عديدة تبرز فى بناء السياسة التقنية والاقتصادية ، و فى الصناعة و الزراعة كما يبرز تباطؤ فاضح فى معالجة القضايا الملحة » .

وأضافت الرسالة تقول ! إن دخل السكان الحقيقى يكاد لا يرتفع منذ سنوات ، و حالة الغذاء و الخدمات الطبية لا تتحسن الا ببطء شديد ، و عدد البضائع

الخاسرة يزداد ، و علامات واضحة تنذر بهبوط قيمة النقد ، و إن التباطؤ فى حقل التعليم يثير القلق ، فنفقاتنا الاجمالية على التعليم تقل عن نفقات الولايات المتحدة الأمريكية بثلاثة أضعاف » .

و أشار كاتبو الرسالة إلى ازدياد الاجرام ، و انتشار الفساد و الكسل فى العمل ، و أثار الفتور فى أفراد الشعب .

كانت آثار التدهور و الهبوط قد برزت فى الاتحاد السوفيتى قبل ذلك ، و لكن النظام السائد فى ذلك الوقت كان لا يسمح بأى نوع من التعبير عن الرأى مهما كان هذا الرأى إيجابياً أو بناء و كان فى صالح البلاد والشعب ، لأن الثورة البلشفية التى كانت باسم الشعب و للشعب ، و للعمال الكادحين كانت سيادتها فى أيدى الحكام الذين فاقوا فى الاستبداد ، وقمع الحريات وفرض الحكم الفردى ، و اضطهاد الشعب الحكام فى القرون الوسطى فى أوربا و استمر هذا الوضع إلى عهد برزنيف الذى كان يعيش كحاكم مطلق و فى بحبوحة العيش التى لا يتصورها أى حاكم فى بلد رأسمالى .

وكانت فترة السبعينات فترة سيادة روسيا فى العالم تلعب مع مصير الشعوب فى آسيا و أفريقيا ، و كانت تعتبر قوة كبرى تخشاها أوربا الغربية ، و كان إنذارها يغير مجرى الأحداث ، و قد وقعت بايعازها أحداث دامية فى مختلف أنحاء العالم ، و كانت وراء بروز عدد من الطغاة فى العالم و سياسة استبدادهم ، و كانت هذه النخوة والهيبة التى سادت روسيا نتيجة الحصار الحديدى على حقيقة الحياة فى البلاد ، و التركيز على تكوين القوة العسكرية ، و توجيه جميع مواردها إليها ، و فى غرور هذه القوة تدخلت فى أفغانستان رغم معارضة العالم كلـه ، و لكن هذا الغزو كان بمثابة كشف الغطاء عما كان يوجد من الغليان فى

داخل البلاد و عن حقيقة روسيا ، فقد دخلت روسيا فى مغامرات عديدة قبل ذلك ، إنها حطمت ثورة المجر ، و بولنده ، و احتجت أوربا لكنها لم تقدر على منع روسياً من هذه المجزرة ، و واجه ألوف من أفراد الشعب شقاءاً و حرماناً و تشريداً .

اتخذت روسياً اجراءات قاسية لقمع كل حركة للاصلاح الدينى و السياسى فى العالم الثالث ، و دعمت النظم الاستبدادية التى اعتمدت عليها فى البلدان الاسلامية ، و فى مقدمتها البلدان العربية ، و فرضت الاشتراكية فيها كدين وعقيدة ، وسلبت الحريات الأساسية فى تلك البلدان ، و كان انتقاد الاشتراكية و زعماء الاشتراكية ذنباً لايغتفر ، ونشرت فى ذلك العهد فى الصحف والمجلات ضد الدين ، و رجال الدين ، و تاريخ الأديان ، و الأخلاق ، و الأدب النزيه، فى البلدان الاسلامية مقالات ، و قصص ، لا يوجد له نظير فى التاريخ الطويل ، و نال الكتاب حماية من النظم القائمة ، و كان ماركس و لينين من الشخصيات المقدسة فوق النقد ، و كانت الاشتراكية كلمة ساحره نلتقطها كل ثورة ، و كل نظام جديد ، و يعلن سيادتها المطلقة على سائر الأفكار .

بدأت هيبة الاشتراكية ومعقلها يزول عن النفوس فى الثمانينات بعد التدخل السوفيتى فى أفغانستان ، وثبت للعالم أن الاتحاد السوفيتى لم يعد قوة لا تقهر بل إنها قابلة للتسخير ، و عرف العالم أنه كان فى خداع ، و زالت هيبة الاتحاد السوفيتى مزيداً بعد حركة جورباتشوف للاصلاح .

كان السر الوحيد فى هذه الهيبة عدم معرفة العالم لما يحدث فى الاتحاد السوفيتى ، و عدم ادراكه بحقيقة الوضع السائد و قد كشف جورباتشوف هذا الغطاء فعرف العالم ما يجرى فى البلاد .

لقد مات عدد كبير من الزعماء الذين أرادوا الاصلاح فى سيبريا ، وكان منهم المريك ، و أعدم عـدد كبير من الناقدين ، و كان انتقاد سخاروف لغزو أفغانستان قد جره إلى الانعزال و حرمانه من جائزة نوبيل ، أما الناقدون الآخرون الذين رفعوا صوتهم للاصلاح فى فترات مختلفة ، فلا يعرف العالم ماذا كان مصيرهم ، فلم يسمع عنهم العالم ، و لكن المخاوف التى ظلت مكتومة ظهرت للعيان فى أواخر الثمانينات ، و أصبحت قاهرة لا يمكن التغلب عليها فى أوائل التسعينات وتحققت تكهنات ١٩٧٠م لالمريك ، ولا يشك أحد فى انهيار هذا النظام فى عام ١٩٩١م بعد فرض الحظر على الشيوعية ، و استقلال جمهوريات عديدة .

إن صعود أى نظام أو قوة و هبوطها حادث بسيط من أحداث التاريخ ، فقد سقطت الامبراطورية الرومية ، و الفارسية ، و العثمانية و سقطت الدول الاستعمارية التى سيطرت على العالم فى القرن التاسع عشر ولا يعد ذلك حادثا كبيراً ، و خاصة للمسلمين الذين يؤمنون بأن العزة لله و يقرأون قصص الأمم الخالية ، و سقوط الامبراطوريات العظمى .

ولكن الأمر الذى يهم فى هذه الحادثة أن هذه النظرية كانت فى الحقيقة ثورة على الدين و الأخلاق ، و المثل ، و لعبت دورهـا فى العالم الاسلامى ، وقد سببت فى فساد عقيدة ألوف من الناس وحملتهم على الاساءة إلى المقدسات ، و أدت إلى تصفية عناصر بناءة عالية فى العالم الاسلامى الذى سحر بهذه النظرية و النظام ، و أثرت على الأدب ، و الفكر ، و أحدثت انحرافات واسعة فى الحياة ، إنها لم تكن مجرد منهج فى الصناعة ، والسياسة ، و الزراعة ، والانتاج ، بل إنها كانت قبل كل شىء نظرية زحزحت المعتقدات و الثوابت التى لم تتزحزح فى أى عصر من العصور ، كان هذا الانقلاب فى تصور بنـاء مستقبل

أفضل .. و قد سقطت هذه النظرية بهذا الاعتبار أيضاً ، و ستظل هذه النظرية فى التاريخ من النظريات الفاشلة الكثيرة ، و ستعود الأوضاع إلى ما قبل الثورة فى الاتحاد السوفيتى ، و لكن العقائد ، و النظريات ، و ما تركت هذه الثورة من تأثير سيئ على الفكر والذهن ستأخذ وقتاً للعودة والاصلاح ، ولا يتم عمل الانقلاب إلا بتصحيح الأفكار وبشن حركة إصلاحية و تصحيحية فكرية و استئصال جذور الانحراف الفكرى الناشئ من الفكر الشيوعى .

لقد بلغ غرور بعض القوميين الاشتراكيين للعرب أن كتب « لقد وضعنا الاقطاع و الرأسمالية ، و الأديان فى المتاحف كدمى محنطة .

و كتب أحدهم عن المقدسات الاسلامية « إنها أصنام و سنهدمها » وسيعلم هؤلاء المخدوعون بأن أصنامهم التى عبدوها بدأت تعود إلى المتاحف ، و قـد نشرت بعض الصحف فعلا أن المحتجين على الشيوعية فى موسكو داسوا تماثيل القادة فى الاتحاد السوفيتى بالأقدام وبصقوا عليها و قد تم نقل بعض التماثيل من الشوارع العامة و أزيلت أسماء القادة الشيوعيين من الشوارع .

و أفادت التقارير الصحفية أن فيدل كاسترو رئيس كوبا يبحث عن اللجوء السياسى خوفا من الانتقام أثر الأحداث فى الاتحاد السوفيتى ، و هناك قادة فى العالم الاسلامى من ركاب هذه السفينة الغارقة ، ينتظرون مصيرهم المحتوم إذا لم يتابعوا هذا الانقلاب ويصححوا أخطاء الماضى ، وسيكتسح تيار الانقلاب الذى حدث فى الاتحاد السوفيتى دولا كثيرة كانت تستند إلى النظام القائم فى الاتحاد السوفيتى و ترتبط به بمعاهدات ودية و عسكرية ، و كانت تنفذ أوامره فى بلدانها ، و شعوبها .

أخبار اجتماعية و ثقافية :

« القرآن الكريم و علم النبات »

أهدى إلينا الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى رئيس الأكاديمية الفرقانية بمدينة بنغلور الهند، كتابه القيم الذى صدر حديثاً باسم « القرآن الكريم وعلم النبات ».

هذا الكتاب يبحث فى عدة من الأسرار والحقائق الخالدة التى يحتوى عليها القرآن فى ضوء الدراسات العلمية الحديثة ، و يثبت فى ضوئها عقائد التوحيد و الرسالة و اليوم الآخر ، و ذلك فى أسلوب استدلالى ثابت .

إنه تناول فى هذا الكتاب بيان نوعية علم الكلام الجديد، وفلسفة القرآن حول صحيفة الفطرة على أسس ومبادىء كلية فى تاريخ التفسير لأول مرة، وبذلك يتيسر تدوين علم الكلام الجديد، ويتوافر للعاملين فى هذا الموضوع معالم الطريق، إنه أثبت فى هذا الكتاب إعجاز القرآن بجانب الرد على الفلسفات الالحادية المادية فى ضوء البراهين العلمية الحديثة التى لا يمكن إنكارها .

سيوفر هذا الكتاب للعالم الاسلامى تفكيراً جديداً وفلسفة حديثة، ويكشف الغطاء عن كثير من زوايا الفكر و النظر لهداية النوع البشرى .

إنه أحسن كتاب يقوم بتعيين الارتباط الصحيح بين القرآن والعلم الحديث و تبيين الحقائق و المعارف الموجودة فيهما ، و من ثم يقوم بالتوفيق و بايجاد الانسجام بين الطبيعيات و ما بعد الطبيعيات ، و ذاك واقع يحمل أهمية قصوى من وجهة نظر الفلسفة .

وسوف ننشر استعراضاً تفصيلياً لهذا الكتاب فى عدد قريب ، بمشيئة الله تعالى.

عدد ممتاز لمجلة « الصفا »

تكرم فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمى، رئيس الجامعة الاسلامية دار العلوم سبيل الرشاد فى حيدر آباد باهداء نسخة من كتاب « الفقه الاسلامى ، المبادىء والخدمات ، والمتطلبات » إلى أسرة مجلة البعث الاسلامى .

و قد صدر هذا العدد كعدد خاص لمجلة « الصفا » التى يصدرها فضيلته كلسان حال لجامعة سبيل الرشاد، باللغة الأردية، وهو يتضمن بحوثاً قيمة موضوعية وتحليلية كتبها أصحاب الأقلام المعرفين فى موضوع الفقه الاسلامى ، ويشتمل على ستة أبواب ، الباب الأول فى تعريف الفقه الاسلامى، والباب الثانى فى المصادر الأساسية للفقه الاسلامى ، والثالث فى المصادر الجانبية، والرابع فى بعض المبادئ الفقهية ، والخامس فيما يتعلق بشبهات المستشرقين ، و السادس فى خدمات فقهاء الهند ، والكتاب بموضوعاته الدراسية وثيقة علمية قيمة للفقه الاسلامى ، وجدير بكل إعجاب و تقدير .

صدر هذا العدد الممتاز بمناسبة الندوة الفقهية الرابعة التى عقدتها أكاديمية الفقه الاسلامى لعموم الهند فى الفترة ما بين ٩-١٢ من شهر أغسطس المنصرم عام ١٩٩١م بمدينة حيدر آباد الهند على دعوة من دار العلوم سبيل الرشاد .

جريدة « صوت الاسلام »

صدرت جريدة « صوت الاسلام » باشراف فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمى، و هى صحيفة شهرية أصدرها قسم الصحافة و النشر فى دار العلوم سبيل الرشاد ، حيدر آباد الهند ، باللغة العربية يرأس تحريرها الأستاذ خورشيد أنور الندوى .

و نهنئ المسئولين على هذه الخطوة الجريئة الموفقة . و نتمنى للزميلة العزيزة كل ازدهار و تقدم .

سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي

يزور أوربا ، و الربوع المقدسة

سافر سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى أوكسفورد على دعوة من المركز الاسلامي بجامعة أوكسفورد ، للحضور في دورة مركز أوكسفورد للدراسات الاسلامية المنعقدة في ٢٩/ من شهر أغسطس ١٩٩١م (الموافق ١٦/ صفر ١٤١٢هـ) وقد رافقه في هذه الرحلة فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء و عضو مجلس الأمناء لهذا المركز ، كما حضر الدورة أعضاء المركز من العالم الاسلامي و أوربا و الهند .

وبعد ما أقام سماحته في أوكسفورد ، ولندن ، أكثر من أسبوع وألقى خلال ذلك محاضرات وكلمات في الاجتماعات و اللقاءات الاسلامية قام بزيارة الحرمين الشريفين ، ورأس في المدينة المنورة جلسات استشارية لمجلس أمناء رابطة الأدب الاسلامي العالمية ، وقضى وقتا طيباً في رحاب الحرمين الشريفين ، وأجرى اتصالات بعلماء المملكة العزيزة و رجالاتها البارزين . و عاد سماحته في سلامة الله تعالى إلى الهند في الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول ١٤١٢هـ .

دورة تربوية للمعلمين

أقام القسم العربي بالجامعة الملية الاسلامية بدلهي ، دورة تربوية للمعلمين تحت تحت إشراف كلية الأساتذة التربوية التابعة للجامعة ، في الفترة ما بين ٢٧/ أغسطس - ١٦/ سبتمبر ١٩٩١م . و قد تلقى كاتب هذه السطور دعوة من مدير الكلية سعادة الدكتور ظفر أحمد النظامي للمشاركة في هذه الدورة كموجه و محاضر ، وعين لي محاضرتين حول اللغة العربية و طريقة تدريسها ، في اليوم السابع من شهر سبتمبر ١٩٩١م .

الأولى : بعنوان « التعبير التحريري ، حقيقته ، أسسه ، وسائله و أهدافه » .

الثانية : بعنوان « طريقة تعليم اللغة العربية ، عرضاً و تطبيقاً » .

و كان في مقدم المستقبلين ، و المقدمين لي أمام المشاركين من محاضري الجامعات الهندية الكبرى ، و هم نخبة ممتازة ، سعادة الدكتور شفيق أحمد الندوي أستاذ اللغة العربية في القسم العربي بالجامعة الملية الاسلامية ، و سعادة الدكتور ظفر أحمد النظامي مدير كلية الأساتذة التربوية .

كان لي شرف إلقاء المحاضرتين أمام المستمعين الكرام في جو حافل بالمشاعر و الأحاسيس الطيبة في قاعة كلية الأساتذة التربوية ، و قد تم بعد ذلك التعارف و تبادل الآراء ، مما كان سبباً للسرور و السعادة ، وقد أبدى الاخوة الكرام من المستمعين مشاعرهم الطيبة نحو هذا العاجز ، بطريق رسالة مفتوحة : جاء فيها :

« إننا تشرفنا بالاستماع إلى إلقائكم الثمين لثلاث ساعات في كلية الأساتذة التربوية في رحاب الجامعة الملية الاسلامية بدلهي الجديدة محاضرتين قيمتين تنطويان على أخبار واسعة وإعلام جميل وعلم وافر مثير ، فمحاضرتكم الجاذبة استرعت انتباهاتنا وثبتت العلم في أذهاننا وذلك العلم هو شذى رائحة الأفكار العالية والخيالات الغالية و الكلمات الفاتنة الجميلة ، وكانت محاضرتكم القيمة تفوح منها عطورات العواطف وعبير الاحساسات فنتهز هذه الفرصة لكي نعبر عن الشكر لكم من صميم قلوبنا و ندعو الله سبحانه و تعالى أن يبقى ظلكم الوارف لنشر علوم الدين الاسلامي وعرفانه ، و اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم و الأحاديث النبوية على صاحبها ألف ألف تحية و سلام » .

لا يسعنا تجاه هذا الاحتفاء و التقدير إلا أن نكرر شكرنا و تقديرنا لجميع المسئولين و المعنيين بهذه الدورة التربوية و المشاركين فيها ، كما نخص بالشكر سعادة الدكتور سيد ضياء الحسن الندوي رئيس القسم العربي على ما تكرم به من الاهتمام بهذا الموضوع و الاحتفاء بهذا العاجز .

إلى رحمـــــة الله :

فضيلة الشيخ معراج الحق فى ذمة الله تعالى

فى السابع من شهر صفر ١٤١٢هـ (المصادف ١٨/ من أغسطس ١٩٩١م) خسرت الأوساط العلمية الدينية فى الهند عالماً كبيراً له منة كبيرة على طلبة العلم و الدين و أهل العلم و الفضل فى هذه البلاد ، و هو العالم الكبير فضيلة الشيخ معراج الحق رئيس هيئة التدريس فى الجامعـــة الاسلامية دار العلوم ديوبند — الهند — فانا لله و إنا إليه راجعون .

لقد كان الفقيد من علماء ديوبند الكبار وله خدمات علمية واسعة جداً وخاصة فى مجال التعليم و التربية و التوجيه الدينى ، و قد قام بتدريس العلوم الاسلامية و الأدب العربى إلى مدة خمسين سنة ، و لذلك فانه أستاذ عدة أجيال من العلماء المتخرجين من جامعة ديوبند الاسلامية .

كان ذا نظرة عميقة فى العلوم الاسلامية ، و ذا خبرة فى مجال الادارة ، حيث إنه عرف بهاتين الخصيصتين بوجه عام ، و قد وضع جميع مؤهلاته وكفاءاته فى خدمة هذه الجامعة الكبيرة ، وظل يخدمها إلى آخر لحظة من حياته .

قال سماحة الشيخ العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء ، فى كلمة ألقاها فى حفل عزاء عقد فى جامعة ندوة العلماء : إن وفاة فضيلة الشيخ معراج الحق حادث علمى كبير يخلف تأثيره على كل فرد من أفراد الأسر العلمية و الدينية كلها ، و ذلك أمر طبيعى ، لا ينكره أحد .

و قد شهد له بفضل ورعه منذ أيام طلب العلم ، حيث إنه وجده على مكانة عالية من الصلاح و الورع ، و ذلك هو السبب فيما إذا جعله الله تعالى عالماً ذا شخصية ممتازة ، يتبوأ منزلة رفيعة من الدين و المبدأ .

ولاشك فان وفاته ليست خسارة جامعة إسلامية أو مدرسة أو طبقة خاصة ، إنما هى خسارة العلم والدين ، وخسارة المدارس الاسلامية والمراكز الدينية كلها ، غفر الله تعالى له جميع زلاته و أمطر عليه شآبيب رحمته ، وجعله ممن أنعم عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء و الصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .